



# الهوية المصرية الدينية وتجلياتها في قصص الأطفال قراءة ثقافية

Egyptian religious identity and its manifestations in children's  
stories - a cultural reading

إعداد

الصادق الدردير الصادق  
Sadiq Al-Dardeer Al-Sadiq

باحث دكتوراه بقسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة عين شمس

*Doi: 10.21608/mdad.2022.249235*

٢٠٢٢ / ٥ / ٢٠	استلام البحث
٢٠٢٢ / ٦ / ٢٥	قبول النشر

الصادق ، الصادق الدردير (٢٠٢٢). الهوية المصرية الدينية وتجلياتها في قصص الأطفال - قراءة ثقافية.. *المجلة العربية* **مداد**، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٦ (١٨)، ٢١٧ - ٢٧٨.

<http://mdad.journals.ekb.eg>



## الهوية المصرية الدينية وتجلياتها في قصص الأطفال - قراءة ثقافية

### المستخلص:

تُعَدُّ الهوية Identity من أهم القضايا التي ينبغي أن تثار في حاضرنا المعيش؛ وذلك بسبب الاحتكاك بالغرب، وتحول العالم إلى قرية صغيرة. وترتبط الهوية والثقافة فيما بينهما؛ حيث إن هوية الأفراد تعكس هوية الجماعة وثقافتهم. وتناول كتاب أدب الطفل هذه المثيرات، وقاموا بتقديمها للطفل المصري في القصص الموجهة له بشكل قد يساعده على مواجهة التغييرات والتكيف مع ما يستجد في الحياة، مع المحافظة على قيم وثقافة المجتمع الأصلية.

ويهدف البحث إلى رصد قضية الهوية المصرية الدينية وتجلياتها في قصص الأطفال معتمداً على شريحة مختلفة من القصص المقدمة لفئات عمرية متفاوتة، وذلك من خلال المنهج الثقافي، حيث القراءة الثقافية التي تفسر النص في ضوء الثقافة التي أنتجته. **الكلمات المفتاحية:** الهوية المصرية - الهوية الدينية - قصص الأطفال - الأنساق الثقافية - ثنائية المقدس والمدنس - ثنائية الوسطية والتطرف.

### Abstract:

The identity is one of the most important issues that should be raised in our present living, this is due to the friction of the West and the world turned into a small village. Identity and culture are linked between them, As the identity of individuals reflects the identity and culture of the group. The writers of the child's literature dealt with these stimuli, and they presented them to the Egyptian child in stories directed at him in a way that may help him to face changes and adapt to what is new in life, while preserving the original values and culture of society. The research aims to monitor the issue of the Egyptian religious identity and its manifestations in the stories of children, based on a different segment of the cutting of varying age groups, through the cultural approach, where the cultural reading that explains the text in the light of the culture it produced.

**Keywords:** Egyptian identity - religious identity - children's stories - cultural patterns - the duality of the sacred and the profane - the duality of moderation and extremism.

تمهيد :

يسعى جُلّ الكُتّاب إلى تقريب الأشياء والعالم والإنسان تقريباً معرفياً وحسيّاً، مؤكدين في ذلك على "ضرورة اكتشاف أفاق غير معهودة في طرق التعبير، والغوص في أعماق النفس، ومقاربة الأشياء والعالم<sup>(١)</sup>، ومن أهم الثنائيات التي تُظهر ذلك ثنائية المقدس والمدنس؛ لأن ذلك يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنفس الباطنية للإنسان، ومن هذا المنحى نبدأ في عرض مفهومي المقدس والمدنس في اللغة والاصطلاح.

جاء في لسان العرب أن المقدّس من الجذر اللغوي (قدس)، وهو: "التَّقْدِيسُ: تنزيه الله عز وجل، والقدّسُ تنزيه الله تعالى، وهو المتقدّسُ القدّوسُ المقدّسُ. ويقال القدّوسُ فعول من القدّس، وهو الطهارة، والتقدّيس: التّطهير والتّزكّي، وتقدّس أي تطهّر، وفي التنزيل: "ونحن نُسبّح بحمدك وتقدّس لك"، معنى تقدّس لك أي: تطهّر أنفسنا لك، وكذلك نفعل بمن أطاعك تقدّسه أي نظهّره. ومن هذا بيت المقدّس أي البيت المُطهّر أي المكان الذي يُتطهّر به من الذنوب"<sup>(٢)</sup>، يتضح من المعنى المعجمي للمقدّس أن الكلمة تصطبغ بالصبغة الدينية، هذه الصبغة أو الأخرى أن نقول السلاح الذي لا أحد يستطيع مواجهته من أنصار التغيير.

ويتفق معه المعجم الاصطلاحي في اصطباغ المفردة بالصبغة الدينية، حيث تُرد القداسة متساوية مع الطهارة والحُرم (Holiness / Saintete) "المكان الذي يمتاز بالقداسة والطهارة (Sanctity)، وكان يُعترف فيما مضى بحمايته للشخص المتهم ممن يلاحقه"<sup>(٣)</sup>، يوضح هذا التعريف أن القداسة لفظة دينية سامية، وأن المكان المقدّس يُعدُّ مكاناً محمياً، وملجأً آمناً لمن يحتمي به، ويلجأ إليه.

وعكس ذلك جاء المدنس، ففي لسان العرب: "الدّنسُ في الثياب: لَطْحُ، الوسخ ونحوه حتى في الأخلاق، والجمع أدناسٌ. وقد دَنَسَ يَدْنَسُ دَنَسًا، فهو دَنَسٌ: تَوَسَّخَ. وَدَنَسٌ: اتَّسَخَ، وَدَنَسَهُ غَيْرُهُ تَدْنِيسًا، وفي حديث الإيمان: كان ثيابه لم يَمَسَّهَا دَنَسٌ، الدّنسُ: الوَسَخُ، ورجل دَنَسٌ المروءة، والاسم الدّنسُ. ودنّس الرجل عرَضَه إذا فعل ما يَشِينُهُ"<sup>(٤)</sup>، يظهر من ذلك حمولة الكلمة الدلالية الخاصة بكل شيء مُشِين، وفيه عيب، بل إنه دنس حسياً ومعنوياً، ولا يُقبل في المجتمع. وفي الاصطلاح يأتي الدنس مرادفاً لتدنيس المقدسات (Profanity / Profanation): "التعدّي على الأشياء المقدّسة أو إظهار الازدراء نحوها"<sup>(٥)</sup>، يؤكد ذلك الارتباط المخالف بين الكلمتين (المقدس

(١) أونيس: الشعرية العربية، ط٦، دار الآداب، بيروت، ٢٠١١م، ص ٥٧.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، مادة قدس، ص ٣٥٤٩-٣٥٥٠.

(٣) أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (انجليزي - فرنسي - عربي)، مكتبة

لبنان، بيروت، ١٩٧٨م، مادة (قدس)، ص ٣٦٥.

(٤) ابن منظور: مرجع سابق، مادة دنس، ص ٤٣٢.

(٥) أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٣٢٩.

والمقدس)، حيث الدنس هو الذي يخالف كل ما هو مقدس، ليس فقط بالفعل وإنما بالتعبير عن الرأي في ذلك.

يشير المفهوم في اللغة والاصطلاح على أن التقديس هو تطهير الشيء وتبريكه، وعكسهما المدنس الذي يعني توسيخه، فالمقدس "الشيء الوحيد الذي يمكن تأكيدته بأنه ما يتعارض مع المدنس"<sup>(١)</sup>، وذلك يؤكد الفكرة نفسها في المخالفة الواقعة بينهما. والمقدس يظهر بوصفه حقيقة غير طبيعية في النظام، يعبر عنه لغويًا بالمخيف أو العظيم والخيالي المتصل بالحياة الروحية الدنيوية للإنسان. لذلك فإن المجتمعات القديمة راعت العيش في المقدس؛ لأنه كان يعادل القوة والكينونة والخلود<sup>(٢)</sup>، يفسر ذلك أن الإنسان القديم كان ينظر للمقدس على أنه ظاهرة غير طبيعية، مما هو مخالف للطبيعة، ولا ينطبق عليه النظام السائر على الأشياء الأخرى؛ لعقيدته الممتلئة بالأساطير التي بمثابة مظلة تحميه من الخوارق الموجودة من حوله، وأيضًا الأشياء التي ليس له معرفة بها.

وكما جاء في المعنى اللغوي والاصطلاح أن المقدس يأتي بمعنى المطهر، والمدنس يأتي بمعنى المحرم، وعلى ذلك فإن المحرمات لا تنتمي للدين وحده، فالمقدس: "ليس الدين فقط وإن كانت جذوره دينية، وإنما يكمن المقدس حتى في عاداتنا اليومية واعتقاداتنا، وفي تقاؤنا وتشاؤنا، وفي النظم التي نحكم بها، وفي العلاقات ضمن العمل، وفي العائلة، وحتى في المؤسسة الزوجية، وفي البيهيات والمسلمات، والحكايات"<sup>(٣)</sup>، وبالإضافة لذلك فإن المقدس يوجد في الالتزامات التي يلزم بها الإنسان نفسه، حيث أفكاره وتطبيقه له بأفعال دورية أو شبه دورية. ويرتبط المقدس بكل ما هو ثابت في المخيلة الدينية والشعبية للناس، وإذا تزعزع أو تغير يمكن يتحول إلى مُدْسن، لذلك فالمتغيرات بين الناس تعد في كثير من الأوقات مدنسات.

والمقدس مفهوم عام يحتمل معانٍ عديدة، تتنوع بتنوع الشعوب والثقافات والأديان، ومن ذلك تدومقولات الحلال والحرام، والمنهي عنه والمأمور به، والطاعة والعصيان قيمًا ثابتة في ذهن الإنسان حسب ثقافته، وكل انتهاك أو خرق لهذه المعتقدات يدخل ضمن دائرة الدنس أو التدنيس.

ومصطلح المقدس في هذه الدراسة لن يكون مقتصرًا على الجانب الديني، بل سيشمل كل المواضيع الاجتماعية أو التاريخية أو الفنية الرمزية أو العرفية أو الأسطورية

<sup>(١)</sup> ميرال طحاوي: محررات قبلية - المقدس وتخيالاته في المجتمع الرعوي روائيًا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٤٠.

<sup>(٢)</sup> مرسيا إلياد: المقدس والمدنس، ت/ عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة، دمشق، ١٩٨٨م، ص ١٦-١٧.

<sup>(٣)</sup> ميرال طحاوي: محررات قبلية - المقدس وتخيالاته في المجتمع الرعوي روائيًا، مرجع سابق، ص ٤٣.

## الهوية المصرية الدينية وتجلياتها في قصص الأطفال – قراءة ثقافية...، الصادق الدردير

أو ما له قيمة في الثقافة المصرية، وكذلك مصطلح المندس في الدراسة يقصد به أشكال المندس كلها: الاجتماعي والتاريخي والفني والرمزي والعرفي والأسطوري في الثقافة المصرية، وما يتضمنه من قيم إنسانية تقع تحت إطاره.

وتتمثل هذه الجدلية في هذا البحث حول نماذج متعددة ومتنوعة، من حيث الموضوعات، بالإضافة إلى الفئة العمرية المقدمة لها، وتتناول بشكل ظاهر أو مضمّر ثنائيتي المقدس والمندس. القصة الأولى تُعنون بالسباق، قصة بطلها طفل اسمه محمد، يدرس في المرحلة الابتدائية، ويثير فيها قضية الحلال والحرام / المقدس والمندس، بشكل واضح، بل ويفصح عنه في بعض الأحيان عن قصد؛ لتصدير القيم الإيجابية التي يجب أن ينشأ عليها النشء، والقيم السلبية التي يجب أن ينأى عنها في تنشئته.

يأتي عنوان القصة باسم السباق، مصدر للفعل سابق، ويدل على المكان الذي تحدث فيه المسابقة والمنافسة بين فردين أو أكثر، ويأتي بألفاظ أخرى حسب نظام التسابق وأفراده، والأداة المستخدمة، فيسمى بـ(حلبة السباق/ مضمار السباق/ ميدان السباق/...). وفي هذه القصة يتخذ الكاتب طريق عودة الأطفال من المدرسة إلى بيوتهم مكانًا للتسابق فيما بينهم، سواء سباق في الجري، أو سباق في الوصول إلى شيء يحدونه ويتسابقون في الحصول عليه، ذلك المعنى الظاهر في القصة، أما المضمّر الذي يتكئ عليه الكاتب، ويستدل عليه في ثنايا القصة نفسها، فهو السباق بين ما هو صالح من العادات والتقاليد (المقدس) والتي يوصي بها الآباء أبناءهم، أو المكتسبة من البيئة التي يعيشون فيها، والطرف الآخر ما هو مخالف للعادات والتقاليد (المندس) والتي لا يوصي بها الآباء، بل ينفرون منها، ويفرّجُ المجتمع منها.

تبدأ القصة مُصححة عن ميول كاتبها، "الطريق من المدرسة إلى بيتنا يكتسي باللون الأخضر الذي أحبه"<sup>(٩)</sup>، إعلان منه عن حبه للمروج الخضراء، وأن اللون الأخضر يبعث في روحه الطمأنينة، وذلك من مدلولات اللون الأخضر<sup>(١٠)</sup>، بالإضافة إلى دلالاته على المكان الذي تدور فيه أحداث القصة، وهو الريف أو القرية، وسيظهر ذلك أكثر في أثناء تناول القصة بأكملها، حيث شجرة التوت، وحقول الخضروات المنتشرة على جانبي طريق العودة. وعندما يستخدم الطفل محمد (بطل القصة وراويها) اللون الأخضر في الرسم، وتساءله المعلمة عن محبته للون الأخضر، "هل أنت فلاح يا محمد؟! - قلت: لا.. كنت أتمنى..."<sup>(١١)</sup>، تعيش أسرة محمد في القرية، لكنّها لا تمتلك أرضًا زراعية، وذلك يحذ في نفس الطفل، فكم تمنى أن تمتلك أسرته أرضًا يرعاها،

<sup>(٩)</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: قصة السباق، ضمن المجموعة القصصية حارة الموناليزا، مجلة قطر الندى، ع ٥٦، فبراير ٢٠٠٢م، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص ٣١.

<sup>(١٠)</sup> انظر الفصل الأول من الرسالة (المركز والهامش)، فيه تفصيل لدلالة اللون الأخضر، وتوضيح لأسباب استخدام الكتاب لذلك اللون وما يدل عليه في كتاباتها.

<sup>(١١)</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: قصة السباق، المصدر السابق، الصفحة نفسها.

ويتزعرع فيها. يُسْتَشْفُ من ذلك أن الكاتب متأثر جداً باللون الأخضر، وحينه إلى القرية، وأن رواسته الثقافية تنكئ على ذاكرة القرية، وتبرز نشأته القروية، التي ترعرع فيها، وتؤثر تأثيراً ظاهراً في العمل، من خلال وصفه الدقيق لما يحدث للنبات منذ حرث الأرض، وبذر البذور، ونمو النبات يوماً بعد يوم، بالإضافة إلى ذكره مكانة الجدة أم السعد، وضرورة الأخذ بنصائحها، والشيخ شحاتة شيخ الكتّاب الذي يعرف كل شيء، وله عامل كبير في تربية الأولاد، وتنشئتهم تنشئة صحيحة، "وأتذكر شيخي شحاتة وعصاه التي من الجنة كما تقول جدتي أم السعد"، "للخس لون رائع في بدايات شهر أبريل وحلول الربيع، كنت أحبه كثيراً، وتقول جدتي أن له فوائد جمّة"، كل ذلك له دلالاته على الرواسب القروية في عقلية الكاتب، والتي يستمد منها أفكاره، وجمله وكلماته، ويبثها في قصصه الموجهة للأطفال.

يبدأ السباق بخروج التلاميذ من المدرسة، ومعه يبدأ سباق المقدس والمدنس في القصة، يُعلن عن قاعدة عامة من وصايا الآباء والأجداد لأولادهم، وهي احترام الكبير وطاعته، والاستجابة لطلباته الموجهة لمن أصغر منه. ويرتكز الكاتب في ذلك على مخزونه الثقافي الديني والقروي، حيث في حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقّر كبيرنا، ويأمر بالمعروف، ويثمة عن المنكر"<sup>(١٢)</sup>، في ذلك أمر برحمة الصغير وتوقير وتبجيل الكبير، وإنزال الناس منازلهم، وتقديرهم بقدرهم. وكذلك الأمر في القرية، فيترى الأطفال على احترام الكبير، وألا ينادي على أي شخص أكبر منه إلا ويسبقه (عم أو خال) أو لقب قبل الاسم، ويذكر الكاتب مضمون ذلك في: "لأن جدتي تقول: أكبر منك بيوم بيعرف عنك بسنة"<sup>(١٣)</sup>، ويمزج الكاتب مع ذلك قيمة أخرى، وهي عدم الانصياع لمن لديه قلة في الأخلاق، وضرورة الابتعاد عنه، وإذا كان كبيراً نبتعد ولا نعقب على أفعاله؛ امتثالاً لقيمة احترام الكبير، ويعمد الكاتب إلى ذلك في: "ويخرج لي لسانه، فأقول له أن هذا عيب كبير..

<sup>(١٢)</sup> الحديث: حدثنا محمد بن سلام قال: أخبرنا جرير، عن محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقّر كبيرنا". أخرجه البخاري في الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط٣، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م باب إجلال الكبير، وأخرجه الترمذي في سننه من طريق أخرى وعلق عليه بقوله: (حديث غريب وزري له أحاديث مناكير)، (سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨ م، ٣/٣٨٥). والحديث صحيح قال الترمذي: (وحدث محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب حديث صحيح)، ٣/٣٨٦. وحكم عليه الألباني بأنه صحيح.

<sup>(١٣)</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: قصة السباق، مصدر السابق، ص٣١-٣٢.

## الهوية المصرية الدينية وتجلياتها في قصص الأطفال – قراءة ثقافية...، الصادق الدردير

لكنني لم أكن أسمع كلامه، لأنه كان يفعل أشياء لا أرضى عنها"<sup>(٤)</sup>، فذلك الولد علي الدجوي الذي يُدكره دائماً بهذه القاعدة الأخلاقية المعلى عنها في القرية، لكن أخلاقه ليست سوية، يفعل أشياء لا تتفق مع ما تربي عليه الطفل محمد / راوي القصة.

يرمي إلى مضمير جديد تحويه حياة القرية، "والحلم بالغداء واللمة حول المائدة وعودة أبي من العمل"<sup>(٥)</sup> فاجتماع الأسرة حول مائدة طعام واحدة، في وقت محدد كل يوم، مع رب الأسرة، ذلك ينمي شعور الألفة والمحبة بين أفراد الأسرة، ويتعلم الأولاد من الآباء عادات الطعام الصحية وآدابه، فهذه الأشياء لا يتم تلقينها بل تكتسب من خلال الممارسة أمام الأولاد.

من الإشارات التي تحتوي على العادات والتقاليد الصالحة، والتي تعبر عن المقدس في هذا العمل، إحساس الطفل الدائم بعدم الارتياح للأفعال المناقضة لتوجهه، ولما تعلمه واكتسبه في نشأته، يقول: "كنت أشعر أنه حرام"، "أحس بشيء داخلي ينكر كلامه". في ذلك يرجع الكاتب إلى المخزون الثقافي الديني لديه، ويعترف منه ما يبثه من قيم صالحة في قصته، مرجعه في ذلك حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي منه: "استقت قلبك، والبر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في القلب، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك"<sup>(٦)</sup>، والمقصود أن الإنسان إذا سأل

<sup>(٤)</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: المصدر السابق، ص ٣٢.

<sup>(٥)</sup> المصدر السابق، الصفحة نفسها.

<sup>(٦)</sup> الحديث: حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا الزبير أبو عبد السلام عن أيوب بن عبد الله بن مكرز، ولم يسمعه منه، قال: حدثني جلساؤه، وقد رأيته عن وابصة الأسدي. قال عفان: حدثني غير مرة ولم يقل حدثني جلساؤه. قال: "أتيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنا أريد أن لا أدع شيئاً من البر والإثم إلا سألته عنه، وحوله عصابة من المسلمين يستفتونه، فجعلت أتخطاهم، فقالوا: إليك يا وابصة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقلت: دعوني فأدنو منه؛ فإنه أحب الناس إلي أن أدنو منه، قال: دعوا وابصة، ادن يا وابصة. مرتين أو ثلاثاً، قال: فدنوت منه حتى قعدت بين يديه، فقال: يا وابصة أخبرك أم تسألني؟ قلت: لا، بل أخبرني. فقال: جئت تسألني عن البر والإثم. فقلت: نعم. فجمع أنامله فجعل يبتك بهن في صدري، ويقول: يا وابصة استفت قلبك، واستفت نفسك. ثلاث مرات، البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك".

أخرجه أحمد، مسند الشاميين، حديث وابصة بن معبد، رقم: ١٨٠٠٦، ط الرسالة، ٥٣٣/٢٩. سنن الدارمي، باب دع ما يرييك إلى ما لا يرييك، ط دار المغني، ١٦٤٩/٣. مسند أبو يعلى، مسند وابصة بن معبد، رقم: ١٥٨٧/١٥٨٦، ١٦٠/٣-١٦٢ ط دار المأمون للتراث. والحديث ضعيف لانقطاع بين الزبير وأيوب، والزبير ضعيف، قال الدارقطني روى أحاديث مناكير.

وحسن الحديث الإمام النووي فقال: حديث حسن رويناه في مسندي الإماميين أحمد والدارمي بإسناد حسن. الأربعين النووية، ص ٢٠\_٢١، طبعة دار السلام.



عن شيء وأخبر بأنه حلال، وكان في نفسه شيء منه، أو غير مطمئن إليه، أو أنه يعلم في هذا الأمر الخاص به ما يجعله غير مطمئن، فإن السلامة في ذلك أن يترك هذا الشيء الذي هو غير مطمئن إليه. وهنا أخبر شريف محمداً أن أكل التوت ليس جريمة ولا حراماً، وساق له الدليل العقلي؛ ليقنعه، لكن محمداً لم يطمئن لذلك كله، ولم يأخذ به. ويستمر الصراع بين المقدس والمدنس، فيها هو شريف يصعد شجرة التوت دون إذن من صاحبها، ويريد من صديقه محمد أن يصعد معه، ويأكل معه التوت الذي يحبه، لكن محمداً يرفض ذلك بشدة، والمضمر الذي يريده الكاتب من وراء ذلك هو دخول البيوت من أبوابها، بمعنى أن على الإنسان أن يتبع الحق، ولو كان بعيداً أو صغيراً؛ ففي النهاية هو حق الآخرين ويجب أن لا نجور على حقوقهم. يكرر الكاتب ذلك مرتين، تارة مع شجرة التوت وأخرى عند حقل الخس، ويحمد للكاتب استخدامه الأدلة النقلية والعقلية في الحوار الدائر بين الطفلين، فيذكر الطفل شريف أدلته ومحاجته للطفل محمد، ويتحاوران بطريقة موضوعية تُبرز الكلام الصحيح والعادات التي يجب اتباعها ودحض العادات الأخرى المناقضة لها، وكما اتضح في السطور الأولى اتكاء الكاتب على الأدلة النقلية من الحديث الشريف، ثم الأدلة العقلية، وهي أن الفلاح يزرع ويهتم ويتعب في حقله؛ ليبيع ذلك ويتكسب منه النقود، وينفقها على حاجاته وحاجات من يعول.

يطرق الكاتب درباً مهماً، وهو أن الأشخاص السيئين يبررون لأنفسهم سلوكهم الطرق الملتوية في الحصول على أشياء ليست من حقهم، يبرر شريف أكله من حقل الخس أنه: "لا بد أن تعطي لصاحب الخس بعض الحسنات"، مثل ذلك يسير الناس الذين على شاكلة شريف في حياتهم، وذلك ليرضوا ضمائرهم الميتة. لكن الذي لديه وازع داخله يرشده وينور له بصيرته لا يبرر الخطأ، بل يبتعد عنه، وينأى بنفسه، كما فعل الطفل محمد، بل وينصح الآخرين بمغبة سلوك الطريق الخطأ، وأن عاقبة ذلك وخيمة جداً، ليس في الدنيا فقط، إنما دنيا وأخرة، يقول: "لست جائعاً ولن أكل حراماً يا شريف، قال لماذا؟ قلت له إن أبي يقول: إن النار تحرق الحرام، والخس سوف يصير لحمًا لذلك فالنار سوف تحرقنا حتماً وأنا أخشى الله"، يستدعي الكاتب من مخزونه الثقافي الديني ما ينص على كلامه، وهو حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)<sup>(١٧)</sup> عن

(١٧) الحديث: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ ابْنِ خُنَيْمٍ، عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عَجْرَةَ: "أَعَادَكَ اللَّهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ"، قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟، قَالَ: "أَمْرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنْوَنَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَأَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرُدُّوا عَلَيَّ حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسَيَرُدُّوا عَلَيَّ حَوْضِي. يَا كَعْبُ بْنُ عَجْرَةَ، الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَالصَّلَاةُ

أكل الحرام ونهايته سواء في الدنيا أو في الآخرة. ويبدو أن الكاتب لم يغفل مخزونه المعرفي الذي يستخدم في الكتابة للأطفال، فكاتب قصص الأطفال عليه أن يكون واعياً بأنواع الحيوانات وصفاتها المختلفة المعروفة والمنتشرة بين الناس، وينقلونها لأطفالهم. يستدعي بعض صفات الثعلب، ذلك الحيوان المفسد المخرب، وذلك عند وصفه لفعل الطفل شريف في حقل الخس: "أخذ يأكل بنهم ويشد الخس ويرمي يمينه ويساره حتى شوه خطوط الحقل الجميلة"، تلك أفعال الثعلب تماماً؛ فعندما يدجخل حظيرة بها دجاجاً أو أي نوع من الطيور، فإنه لا يكتفي بأكل ما يحتاج ويرحل، بل يعيث في الحظيرة فساداً، ويقتل أولاً ما يأتي أمامه من الطيور، ثم يبدأ في أكل بعضها، ويرحل تاركاً الخراب يعم المكان، فعل الطفل شريف مثل الثعلب، خرّب حقل الخس، ولم يفتن بما يكفيه من طعام، بل أفسد الحقل تماماً. ولم يغفل الكاتب التعليق على ذلك، واستنباط قيمة أخلاقية للأطفال، حيث جاء صاحب الحقل وأمسك بالطفل شريف، وعنفه على فعله الشنيع الذي ارتكبه في حقله، وعلى الجانب الآخر قيمة أخلاقية أخرى، وهي سعادة الطفل محمد الذي لم يشارك في تخريب الحقل، وكانت لديه قناعة تامة بحرمة هذه الأفعال.

يلق الكاتب في نقطة مهمة على لسان الطفل محمد راوي القصة، أن ليس كل ما نتوارثه من الآباء والأجداد من عادات وتقاليد يكون مقدساً وإلزاماً على الخلف تنفيذها والتسليم له، فيعطي مثالاً دالاً على التغيير والتطور الذي يحدث من حولنا في المجتمع، نجده ذكر في أول القصة أن جدته أخبرته بضرورة السمع والاحترام لمن يكبرنا ولو بيوم واحد، وفي نهاية القصة يهدم هذه العادة بقوله: "تركته ومضيت أحسست لأول مرة إنني أكبر منه وأن كلام جدتي هذه المرة ليس صحيحاً"، يُفهم من ذلك أن إبطال هذه العادة لا يقصد به الكاتب هدم فكرة الاحترام والتوقير للكبير، بل علينا احترامهم كما تقدم من عرض لآراء الكاتب، لكن الكاتب يأخذ هذه العادة مثالاً على العادات التي تتغير من فرد لآخر، ومن مكان لآخر، ومن زمان لآخر، وهو بذلك يتعرض لفكرة الثابت والمتغير للموروث من الخلف للسلف.

وتعج القصة بالعديد من القيم التربوية المقدمة للأطفال، سواء الإيجابية التي يحضهم على العمل بها، أو الأعمال السلبية التي يحضهم على الابتعاد عنها، والتي مثلها

---

قُرْبَانٌ - أَوْ قَالَ: بُرْهَانٌ - يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمَ نَبْتٍ مِنْ سُحْتِ النَّارِ أَوْ لِي بِهِ. يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، النَّاسُ عَادِيَانِ: فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهُ، وَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُؤَبِّقُهُ. أخرجهم أحمد، مسند جابر بن عبد الله، رقم: ١٤٤٤١ ٣٣٢/٢٢ (مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوك وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ\_٢٠٠١م). والحاكم في المستدرک، کتاب الفنن والملاحم، ٤/٤٦٨. (المستدرک علی الصحیحین، الحاکم النیسابوری، تحقیق مصطفی عبد القادر، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط١، ١٩٩٠م). والحديث صحيح.

الطفل محمد راوي القصة، من هذه القيم:

- اجتماع الأسرة حول مائدة طعام واحدة، والشعور بدفء الأسرة الذي يكاد يكون منعدماً هذه الأونة.
- احترام الكبير وتوقيره، وإذا كان مخطئاً علينا نصحه بأدب، وإن لم يقبل نبتعد عنه بهدوء.
- الابتعاد عن الحرام، وتحري فعل الحلال في كل شيء نقوم به.
- عدم التعدي على ممتلكات الآخرين.
- الاستئذان قبل دخول مكان ليس مكاننا.
- خلق روح المنافسة بين الأطفال، وتشجيعهم على اتخاذ الأصدقاء والاندماج في الجماعة، وحسن اختيار الصديق.
- الابتعاد عن أصدقاء السوء.

يوجد بعض الكتاب الذين يناقشون قضية أو قيمًا يريدون توجيهها للأطفال من خلال مجموعة قصصية وليس قصة واحدة؛ وذلك ليرسخوا تلك القضية والقيم داخل نفوس الأطفال المتلقين، أو القارئ لمجموعاتهم القصصية. ومن هذه المجموعات من تناول ثنائية المقدس والمدنس، سواءً ظاهرياً أو ضمنياً، والنموذج الذي نتعرض له يحمل عنوان (مغامرات فلفلة)، وهي مجموعة من القصص الموجهة للأطفال، تهدف إلى تقويم سلوك الأطفال، وتوجيههم نحو السلوك السوي الذي يخدم المجتمع، تلك الفتاة المسماة فلفلة بطلة هذه المجموعة، فتاة ذكية نشيطة مجتهدة تحمل في قسامات وجهها كل شقاوة وعفرتة بنات جيلها. ذلك ما صرَّح به على غلاف المجموعة القصصية.

وقبل البدء في تناول المجموعة وقراءة ما فيها من مقدس ومدنس، نقف معها وقفتين، الأولى مع العنوان الرئيسي، ومن ثمَّ العناوين الفرعية التي تناولت المقدس والمدنس، العنوان الرئيسي (مغامرات فلفلة) يعطي انطباعاً مشوقاً، فالمغامرة تجربة مثيرة وغير عادية يمر بها الشخص لأول مرة في حياته، وقد تكون أحياناً جريئة وخطرة مع نتائج محتملة وليست مؤكدة، ويدل ذلك على أن فلفلة ستعرض لمواقف جريئة وتحتاج إلى تصرف سريع، وعليها تحمل نتائج اختياراتها. العناوين الفرعية تعطي إشارات مشوقة ومجذبة للقارئ مباشرة عن موضوع القصة، قصة (آثارنا الجميلة) توجيه مباشر ليتعرف الأولاد على آثار بلدنا الحبيبة، تلك الآثار المتنوعة العريقة التي نفخر بها دائماً، ولكن يثير في ذهن المتلقي أي آثار الجميلة التي سيذكرها الكاتب في قصته، وكيف سيعرضها للأطفال؟ العنوان الثاني (رحلة سعيدة) عادة الأطفال حبهم للخروج من البيت، والذهاب في رحلة مع أسرهم، وعلاوة على احتواء العنوان كلمة رحلة المحببة للأطفال فزاد وصفها بأنها سعيدة، وذلك عامل جذب كبير للمتلقي، يجعله يتحرق شوقاً لمعرفة مسار الرحلة، وسبب سعادتها. والعنوان الثالث (العقد الفريد) يعرف الأطفال العقد خاصة البنات؛ لاستخدامهم لأدوات الزينة، واللعب مع عرائسهم به، ذلك لا

## الهوية المصرية الدينية وتجلياتها في قصص الأطفال – قراءة ثقافية...، الصادق الدردير

يضيف لديهم إثارة وجذبًا، لكن الذي يضيف هو وصف ذلك العقد بأنه فريد، فالفرادة لا تكون إلا عن سبب، فيضطر الأولاد المتلقين للتفكير في سبب فرادة ذلك العقد، وهنا يكون العنوان جاذب ومشوق، ومؤدٍ وظيفته المنوطة به. هذه العناوين الثلاثة تحمل في طياتها معانٍ خفية مقدمة للمتلقي، فاختيارها لم يأت صدفة أو دون ترتيب، فهدف (أثارنا جميلة) إخبار وإعلام الأطفال بأن لدينا آثار وتاريخ عريق وجميل يجب أن نتعرف عليه، و(رحلة سعيدة) يشير إلى مهمة الرحلات التي تقوم بها الأسرة، ويجب أن تخدم الغاية الموكلة إليها، وهي إسعاد جميع أفراد الأسرة، أمّا عن (العقد الفريد) يشير إلى قيمة الأشياء الثمينة من حولنا، ليس فقط أدوات الزينة إنما في كل شيء له قيمة. الوقفة الأخرى عن طريقة كتابة القصة، حيث الاختلاف والتنوع عن القصص السابقة المتناولة في هذا البحث، مغامرات فلفلة مجموعة قصصية بنظام الكوميكس، وهو نظام يستخدم الصور والحدث المتتالية، وذلك يكون عبر مجموعة من الأدوات النصية للتعبير عن الأفكار التي يعرضها كاتب القصة، بالإضافة إلى الإشارة إلى الحوار، ومزج الرسم مع النص، والفن مع الأدب، ويظهر من خلال العرض المبسط، والحوار القصير المؤدي للغرض، وتعبير الصورة لما أوكل لها، ويعد ذلك الأسلوب المتبع في المجالات؛ لجذب الطفل للقراءة أو الاستماع لوالديه والنظر في الرسوم للفهم وزيادة الشوق والإثارة لديه، إلى جانب غرس القيم الخلقية والتربوية والسلوكيات الحميدة والمثل العليا الرفيعة، فنجد في نظام الكوميكس الجمع بين الاستمتاع العقلي والاستمتاع البصري، وذلك الذي يلائم الحياة العصرية التي تنتشر فيها التكنولوجيا، وبيتعد فيها الأطفال عن القراءة.

يتعدد ويتنوع ما يمثل المقدس والمدنس في القصص التي بطلتها الطفلة فلفلة، عندما تم الإعلان عن رحلة مدرسية إلى مدينتي الأقصر وأسوان ذهبت فلفلة إلى أسرتها وطلبت منهم الإذن في الاشتراك في الرحلة، وبدأ النقاش بين الأسرة بعد الموافقة المشروطة باتباع الجماعة، وتنفيذ أوامر المعلمة المشرفة في الرحلة، يمثل ذلك كيان الأسرة المستقرة الآمنة، وذلك مقصود من الكاتب، حيث لم توافق الأسرة فقط، بل تتناقش وتعطي النصائح؛ لتكون مطمئنة على الطفل، وتلك المسؤولية المرجوة من الأسر جميعًا، "لقد أعلنت المدرسة عن قيامها برحلة إلى الأقصر وأسوان، وأود أن أستاذنكما في الذهاب؛ فأنا أود بشدة أن أرى آثارنا الجميلة هناك"، "سوف نسمح لك بالذهاب، ولكن بشرط أن تكوني دائمًا مع مجموعة من صديقاتك وبالقرب من المشرفة"<sup>(١٨)</sup>، ويستمر الكاتب في قصته موضحًا الجانب الآخر لمن لا يستمع إلى كلام والديه والمشرف على الرحلة، فهذه الطفلة سمسة التي تتخلف عن المعلمة وعن الجماعة، وتطلب من فلفلة الذهاب معها إلى غرفة مجاورة؛ لتنظر تمثال الملك رمسيس الثاني، لكن تأتي إجابة فلفلة محافظة على الوعد الذي وعدته لأسرتها بالأبتعاد عن الجماعة والمشرفة، وتذهب فلفلة

(١٨) حسام فاروق: قصة آثارنا الجميلة من كتاب مغامرات فلفلة، رسوم رعدة أسامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢١م، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص٦٠.

وتبقى سمسة بمفردها، ثم تفقد طريق العودة إلى زملائها، وتبحث عنا المعلمة حتى تعثر عليها، وتلومها؛ لابتعادها وسيرها بمفردها، تقول فلفلة: "ولكن هذه الغرفة ليست ضمن برنامج الرحلة، وأنا وعدت والدي أن أكون مع زملائي وبالقرب من المشرفة، ويجب عليك ذلك أنت أيضاً"، احترام قدسية الوعد الذي قطعته مع والديها، وعلى النقيض تأتي الطلة سمسة، والتي تمثل المدنس في هذه القص، حيث خالفت الجماعة وابتعدت، "أذهبي أنت وأنا سأشاهد هذا المشهد الرائع وألحق بكم بسرعة... لقد كنت أتذكر طريق الخروج جيداً. ماذا حدث؟"<sup>(١٩)</sup>، ولا ينسى الكاتب في نهاية القصة إحقاق الحق، واتباع الطريق الصحيح، والمثل العليا، فهذه الطفلة سمسة تعتذر وتعترف بخطئها، وتقدم الشكر لله ثم للمشرفة وأصدقائها، "أعتذر لكم جميعاً، لقد كنت على حق يا فلفلة، فقد أخذني الفضول وأبعدي عنكم، ولولا فضل الله واجتهادكم لكنت قد تهت منكم"<sup>(٢٠)</sup>، استعرض الكاتب في آثارنا الجميلة المقدس في استئذان فلفلة ومناقشتها أسرتها، واتباعها للجماعة والمشرفة، ورفض الابتعاد عن الجماعة، واعتذار سمسة عن فعلها، أما المدنس جاء في الابتعاد عن الجماعة والمشرفة. ويريد الكاتب أن يوصل رسالة ضمنية من خلال ذلك، وهي أن الخير في اتباع الجماعة فيما فيه نفع سواء للفرد أو للجماعة، فغالباً الجماعة تكون على حق، زيادة على ذلك العمل الجماعي ثمرته تكون أفضل، وموفرة للوقت إذا تم بتوزيع عادل بين أفراد الجماعة. شيء آخر تضمرة القصة، وهو ليس بجديد، طاعة الكبير والانصياع إلى أوامره.

تسير قصة رحلة سعيدة على المنوال نفسه في عرض المقدس والمدنس، من حيث الانصياع وطاعة الكبير، فلفلة الفتاة لمطبعة كعادتها لكلام والديها ولكلام المشرف الذي نوه بضرورة ارتداء طوق السباحة عند نزوال البحر، وهي تطيع ذلك وتحرص عليه، لكن في المقابل يظهر ذلك الفتى الذي يمثل المدنس، ويظن في نفسه أنه لا حاجة له في ارتداء طوق السباحة؛ فهو سباح ماهر، كما يدعي، "ألم تسمع كلام المشرف؟ لا بد من ارتداء طوق النجاة. لا تقلقي أنا أجيد السباحة ولا أحتاج لطق نجات"<sup>(٢١)</sup>، وتستمر فلفلة القيام بالدور المنوط إلى شخصيتها، وحرصها على سلامة نفسها وسلامة الآخرين معها، وتذهب إلى مسئول الإنقاذ وتخبره عن الفتى الذي ابتعد وسط الماء، فيرسل له سباحاً لينقذه، "هذا الفتى نزل دون طوق نجات، وأنا أخشى عليه من الغرق. لا تقلقي،

<sup>(١٩)</sup> حسام فاروق: قصة آثارنا الجميلة من كتاب مغامرات فلفلة، المصدر السابق، ص٧.

<sup>(٢٠)</sup> حسام فاروق: قصة آثارنا الجميلة من كتاب مغامرات فلفلة، المصدر السابق، الصفحة نفسها.

<sup>(٢١)</sup> حسام فاروق: قصة رحلة سعيدة من كتاب مغامرات فلفلة، رسوم رغدة أسامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢١م، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص٢٥.

سأرسل أفضل سباحينا ليظمنن عليه"<sup>(٢٢)</sup>، ولا يغفل الكاتب بعد عرض الثنائية أن يقوم بتوضيح أن المدنس فعل خاطئ، وفاعله في القصة اعتذر عنه، ويعد بأن لا يكرره مرة أخرى، "أشكرك على اهتمامك، وأعتذر لك عن عنادي وغروري السابقين"<sup>(٢٣)</sup>، يهدف الكاتب إلى شيء آخر غير ما وضحه وتناوله في القصة، وهو أن الإنسان لا يعيش بنفسه، وعليه أن يلتمس مساعدة الآخرين، وأن يحافظ على حياة الآخرين، وتقديم النصيحة لهم، ربما ليس لديهم علم بها من قبل.

أمّا القصة الثالثة العقد الفريد فيستخدم الكاتب فيها شيئاً جديداً لعرض رؤيته، لكن لا يعرضه مباشرة، بل يضع المتلقي أمام القصة ويشركه في التفكير أولاً، هل هذا الفعل الذي تفكر فيه فلفلة فعل صالح أم منافٍ لأخلاق وقيم المجتمع؟ تعثر فلفلة على عقد غالي الثمن، وتأخذه، ويدور بينها وبين نفسها مونولوج عميق، فتحدثها نفسها بأخذ العقد وبيعه، وتصبح غنية وتمتلك سيارة وملابس غالية، وغير ذلك من أنواع وأشكال الغنى، يظهر المدنس جلياً في هذا المونولوج، "هذا العقد غال جداً، وأنا لا أعرف من صاحبه. فهل يعني هذا أنه من حقي أم ينبغي أن أسأل عنها؟"<sup>(٢٤)</sup> لكنّه لا يتم، تذهب فلفلة إلى أمها وتخبرها، وهنا يظهر داخل فلفلة المقدس وتتخلص من الصراع الدائر بين المقدس والمدنس، وتستمتع إلى أمها، والتي بدورها تشرح لها حال صاحب العقد المفقود، وأنها لو مكانها ستكون حزينة جداً، وفي اليوم التالي تبحث عن صاحبة العقد وتعطيه لها، "لقد وجدته في الفناء ولم أعلم من صاحبه، وحين علمت جنت أردّه إليك"<sup>(٢٥)</sup>، يأتي التعزيز والتوجيه في نهاية القصة للفعل الحسن، حيث تكرّم إدارة المدرسة فلفلة على أمانتها، وحسن أخلاقها، وتفوقها العلمي والأخلاقي، "تعلن إدارة المدرسة تكريمها للطالبة المتميزة فلفلة التي ضربت أروع مثلاً للأمانة، وأنا أشكرها مرة ثانية على تفوقها العلمي والأخلاقي"<sup>(٢٦)</sup>، المضمّر الذي يركن إليه بالإضافة إلى الظاهر الذي عرضه الكاتب في القصة هو تماسك الأسرة، وقيام الأم بدورها الإيجابي، من حيث احتوائها لأطفالها، وتوجيهها لهم، ليس بطريقة التلقين والإجبار، بل بطريقة المناقشة والفهم، فالأم في هذه القصة تناقش ابنتها وتفتحها بالفهم الاستنتاجي للأمور، والشئ الآخر الذي يرنو إليه الكاتب هو يجب تكاتف المؤسسة التعليمية والأسرة في تنشئة الأولاد على القيم الرفيعة، وتعزيز ذلك بطريقة إيجابية تحقق الأهداف المنشودة وتخلق جيلاً يضيء الكون من حوله.

<sup>(٢٢)</sup> حسام فاروق: قصة رحلة سعيدة من كتاب مغامرات فلفلة، المصدر السابق، الصفحة نفسها.

<sup>(٢٣)</sup> حسام فاروق: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

<sup>(٢٤)</sup> حسام فاروق: قصة العقد الفريد من كتاب مغامرات فلفلة، رسوم رغبة أسامة، الهيئة

المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢١م، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص ٣٠.

<sup>(٢٥)</sup> حسام فاروق: قصة العقد الفريد من كتاب مغامرات فلفلة، المصدر السابق، ص ٣٠.

<sup>(٢٦)</sup> حسام فاروق: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

- ويتعرض الكاتب للعديد من القيم التربوية والأخلاقية، والتي من أجلها كتب مجموعته القصصية مغامرات فلفلة، ومن هذه القيم:
- استئذان الوالدين في كل كبيرة وصغيرة، وطاعة أوامرهما، طاعة فلفلة لوالديها وللمشرفة في القصص الثلاث.
  - الرجوع إلى الوالدين في كل شيء يقابلنا، واستشارتهم فيه، استنادًا إلى "ما خاب من استئثار"، مشورة فلفلة لوالدها عندما وجدت العقد الفريد، وما تفعل به.
  - الحفاظ على الوعود التي يقطعها الإنسان على نفسه، حفاظ فلفلة على وعدها مع والديها، وتجنب مخالفته.
  - احترام وطاعة كلام الكبار، طاعة فلفلة للمشرفة، ولمسئول الإنقاذ على شاطئ البحر.
  - اتباع الإرشادات المخصصة لكل مكان، وعدم الحيد عنها، عندما أطاعت فلفلة الإرشادات المخصصة بشاطئ البحر، وارتدت طوق النجاة قبل نزولها الماء.
  - التناصح بين الناس، تقديم فلفلة النصيحة لزميلتها سمسة في قصة آثارنا الجميلة، ونصح الفتى على شاطئ البحر بارتداء طوق النجاة.
  - التعاون، تعاون فلفلة في القصص الثلاث، والحرص على مصلحة الآخرين، والخوف عليهم.
  - تعزيز المؤسسة التعليمية والأسرة للأفعال الحسنة والتشجيع عليها.
  - نشر ثقافة الاعتذار عند الخطأ، والامتنال لمقولة: "الرجوع إلى الحق فضيلة"، وذلك منهج الكاتب في مجموعته القصصية، يذكر في نهاية كل قصة الاعتذار عن الفعل الخاطئ الذي تم تناوله وعرضه، ويعترف فاعله بأنه كان يسير في طريق غير صحيح.
- النموذج التالي الذي نتعرض له، ويعتمد على ثنائية المقدس والمدنس في تقديم محتواه، يأتي على المنوال نفسه في طريقة تقديم المخرج للأطفال، حيث اعتمد الكاتب طريقة الكتابة بنظام الكوميكس، الممزوج بالرسومات؛ ليضفي على المحتوى عامل الجذب والتشويق، بالإضافة إلى سرعة وسهولة فهم المتلقي للقصة. القصة بعنوان (طلب صداقة)<sup>(٢٧)</sup>، يواكب العنوان أحداث وتطورات العصر، وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي، واشتراك الأطفال بكثرة في ذلك، والعنوان للوهلة الأولى يبدو عنوانًا عاديًا، لكنّه يحتوى على معنى آخر يتوصل إليه بعد التعرض له، فكلمة طلب تستلزم في معناها الاستئذان، فالطلب هو الاستئذان لفعل شيء أو الكف عن فعل شيء، والكلمة الأخرى في العنوان (الصداقة) وهي أسمى العلاقات البشرية، والصديق أقرب الناس لصديقه، يكاد يعرف أكثر من الأسرة؛ كونه محل ثقة ومرافقة دائمة، وجمع الطلب والصداقة معًا،

<sup>(٢٧)</sup> أحمد زحام: قصة طلب صداقة، رسوم/ رشا منير، تلوين/ تامر شاهين، مجلة قطر الندى، ع ٦٦٠، نوفمبر ٢٠٢٠م، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص ٢٠-٢٣.

## الهوية المصرية الدينية وتجلياتها في قصص الأطفال – قراءة ثقافية .. الصادق الدردير

يعطي معنى أدق، وهو الاستئذان لأكون صديقاً لك؛ فليس كل الناس محل ثقة، ومحل صداقة للجميع.

يبدأ الكاتب بتناول فكرة مخالفة لمعنى الصداقة، وهي تعدد الأصدقاء وعدم التمعن في اختيارهم، فالطفل باهر صفحته ممتلئة بالأصدقاء، ويفتح الأخرى لاستيعاب الصداقات الجديدة، "انظر يا ذاك، لقد وصل عدد أصدقائي إلى ٥٠٠٠ صديق.. وهناك طلبات كثيرة في الانتظار.. وماذا ستفعل يا باهر؟ سأفتح صفحة جديدة؛ حتى تستوعب كل هذا العدد من الطلبات.." (٢٨)، فهل باهر يعرف هؤلاء الأصدقاء في الحقيقة؟ وهل قابلهم ولو مرة واحدة على الأقل في الحياة الحقيقية؟ المؤكد أنه لم يقابلهم، هذا الفعل يمثل مخالفة للمتعاهد عليه في الحقيقة، وبذلك يعدّ مدنساً، ويعالج الكاتب ذلك مباشرة، ليس بفعل شخصية واحدة، بل بأكثر من شخصية تجتمع على رأي واحد، عندما تخبر الطفلة شهيرة بأنه يوجد فتاة باسم مستعار (الضوء الشارد) تطلب صداقتها، يجب باهر متسرّعاً، مستنقداً على توجهه الذي يسير عليه، بأن تقبل طلب الصداقة، لكن يتدارك الموقف ويجيب ذاكراً قائلاً: "لا تقبلي الصداقة إلا بعد التعرف على شخصيتها من خلال صفحتها.." (٢٩)، هذا الحوار الذي يدور بين الإخوة، ويتواجه فيه المندس والمقدس، وكل اتجاه له أنصاره، وتأتي إجابة الأم معضدة للمقدس ولرأي ذاك، تقول: "صفحتي لزملائي في العمل وعانتي" (٣٠)، تلك المناصرة الأولى في القصة بعد المواجهة بين المقدس والمندس.

ينتقل الكاتب لعرض موقف آخر ومواجهة أخرى بين المقدس والمندس، ترويح الإشاعات والكذب معروف أنه من الصفات المذمومة والمنبوذة في المجتمع، وتلك تمثل المندس، ويستند الكاتب عليها؛ ليوضح رؤيته، يأتي اتصال هاتفي لذاكر من صديق له؛ يسأل عن صحة باهر، "طممني يا ذاك، كيف حال باهر؟ بخير؟ .. هل ذهب عنه المرض؟" (٣١)، يندهش ذاكر من ذلك، ويتساءل: أي مرض، ومتى حدث ذلك؟! باهر معه في البيت في صحة وعافية، فيخبره صديقه بأنه كتب ذلك في صفحته على الفيس بوك. يذهب ذاكر ويواجهه، فيجيبه: "حتى أحصل على عدد كبير من الإعجاب والتعليقات" (٣٢)، تنصح أخته أيضاً وتقف في صف ذاكر تجاه ما يفعله باهر، وأن ذلك الفعل يعدّ كذباً، وهو مندس مذموم بالنسبة للمجتمع.

يتعرض الكاتب لموقف آخر ويبرز فيه قيمة تربوية عالية، إلى جانب أنها فعل قبيح وهو عدم نشر الأسرار الشخصية على العلن بين الناس، تخبر شهيرة أصدقاءها عن

(٢٨) أحمد زحام: قصة طلب صداقة، المصدر السابق، ص ٢٠.

(٢٩) أحمد زحام: المصدر السابق، ص ٢١.

(٣٠) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٣١) نفسه، الصفحة نفسها.

(٣٢) نفسه، الصفحة نفسها.



أخيها باهر، وعن أفعاله التي يرتكبها مع الناس، فيلاحظ ذلك أخوها ذاكر، فينبهها لهذا الخطأ الشنيع، وتقوي الأم موقف ذاكر في مواجهة فعل شهيرة، وتقول: "ألم نتفق أن حياتنا الشخصية والعائلية لا تكتب على الفيس بوك!"<sup>(٣٣)</sup>، يتخذ الكاتب من هذا الموقف إعلاناً واضحاً لمواجهة كل ما هو قبيح ومدنس في المجتمع، وضرورة التناصح بالحسنى. ويرجع الكاتب مرة أخرى إلى شخصية باهر، تلك الشخصية التي يعتمد عليها في إبراز الصفات المنافية لقيم المجتمع القويم، هذه المرة يرتكب فعلاً فيه خسارة كبيرة له على المستوى الشخصي، حيث يرسل نقوداً لشخص لا يعرفه في الحقيقة، يعني ببساطة القول لص من اللصوص التي تتخفى خلف الشاشة الإلكترونية، يسأل ذاكر باهراً عن معرفته لمن أرسل له النقود، فيقول بأنه لا يعرفه على المستوى الشخصي، بل مجرد صديق فيس بوك. تدخل الأخت شهيرة في تلك المواجهة بين الإخوة، وتأتي في جانب أخيها ذاكر، وتتهرأها باهراً عن فعله، وتقول: "هذا تصرف غير صحيح يا باهر، كيف ترسل له نقوداً وأنت لا تعرفه؟!"، يجيبهم "أنتم هكذا دائماً لا تعجبكم تصرفاتي.. خطأ يا باهر.. خطأ يا باهر.. لا شيء يعجبهم!!!"<sup>(٣٤)</sup>، هذه المواجهة تختلف عن سابقتها، تشتد المواجهة بين الإخوة، ويغضب باهر، ويلقي باللوم على إخوته بأنهم لا تعجبهم أفعاله، وينظر إلى نفسه نظرة المظلوم. يرمي الكاتب لشيء خفي، وهو أن مرتكب الخطأ، والذي يمثل الأفعال المنحرفة عن الطريق المستقيم يظن نفسه مظلوماً دائماً، وأن الذين ينصونه يمثلون الجبهة الأخرى التي يرونها أقل منهم، لكن في الحقيقة عكس ذلك، هم يقدمون النصح لتأصل القيم السوية بداخلهم، ولأنهم لا يريدون الأفعال المنحرفة تنتشر في المجتمع.

وتستمر نتائج أفعال باهر المائلة عن القيم الصحيحة، بعض الأولاد يدقون الباب، ويسألون عن باهر، ويقولون: "نحن أصدقاء باهر في مجموعة" أطمع صديقاً" .. أين الطعام؟"<sup>(٣٥)</sup>، يبدو أن باهراً أعلن عن شيء ليس في مقدرته، وكذب كذبة كعادته، فهؤلاء الأطفال جوعى، وجاءوا ليأكلوا الطعام كما أخبرهم باهر.

استثمر الكاتب قصته في عرض المواجهة بين القيم الإيجابية المحفزة من قبل المجتمع والقيم السلبية المنبوذة من قبل المجتمع، واستعان الكاتب في كل موقف بأن يكون الفعل المحمود معضداً من قبل شخصيتين، فإذا كان المخطئ باهر وممثلاً للفعل المذموم، فإن الذي يواجهه أخوته ذاكر وشهيرة، وإذا كان ممثل الفعل المذموم شهيرة، تأتي المواجهة من قبل ذاكر والأم.

اعتمد الكاتب في تقديم وإبراز بعض القيم التربوية في هذه القصة، فعلاوة على الموضوع الشائك الذي تناوله، من حيث انتشار استخدام الأجهزة الإلكترونية الحديثة،

<sup>(٣٣)</sup> أحمد زحام: قصة طلب صداقة، المصدر السابق، ص ٢٢.

<sup>(٣٤)</sup> أحمد زحام: المصدر السابق، ص ٢٣.

<sup>(٣٥)</sup> المصدر السابق، الصفحة نفسها.

## الهوية المصرية الدينية وتجلياتها في قصص الأطفال – قراءة ثقافية... الصادق الدردير

- ومواقع التواصل الاجتماعي، وإقبال الطفل عليها إقبالاً منقطع النظير، وقلة مراقبة الأسرة لأولادهم، فإنه يتعرض للقيم التربوية التي تُهلي من المثل العليا، وهي:
- الصدق، والابتعاد عن الكذب بكل طرقه وأنواعه، باهر يكتب على صفحته بأنه مريض، ويتظاهر بالمرض؛ ليحصل على الشهرة، ويكذب على الأطفال في صفحته بأنه مشترك في مجموعة أطعم صديقاً.
  - تحري اختيار الأصدقاء، وليس كل الناس يصلحون أصدقاء لنا، ذاكر وأمه لا يقبلون صداقة إلا من يعرفونهم معرفة شخصية، عكس باهر الذي يقبل صداقة الجميع.
  - الحفاظ على الحياة الشخصية، وتجنب مشاركتها مع الآخرين، كفعل شهيرة في نشر أخبار باهر.
  - التناصح بين أفراد الأسرة، والحوار الجاد البناء، ويتمثل في الحوارية في المواقف كلها التي عرضتها القصة.

نموذج جديد يتبع تقديم القصة بنظام الكوميكس، وتعالج موضوعاً مواكباً لأحداث العصر، وتلك وسيلة من وسائل الجذب التي يستخدمها الكتّاب؛ حيث يقبل الأطفال على القصص التي تجاري أحداثهم اليومية، وترتبط قراءة القصص والاستماع إليها بالواقع ومنها يكتسب القيم التربوية القويمة، التي تعينه على حياة صالحة مستقيمة. القصة عن الوباء الذي بدأ في الانتشار منذ بداية سنة ٢٠٢٠ ميلادية، وما زال منتشرًا حتى الآن، ويجب على الناس اتباع الطررق الصحية والسليمة للحفاظ على أنفسهم ومن حولهم؛ لذلك جاء عنوان القصة (كابوس كورونا)<sup>(٣٦)</sup>، والعنوان بهذا الشكل يحمل في طياته معانٍ يقدمها للمتلقي، فكلمة كابوس تعني الضغط والضيق المزعج الذي يقع على صدر النائم، كأن شخصاً يجلس على صدره، ولا يقدر معه على الحراك قيد أنملة، وهو الفلق الذي يصيب الإنسان بسبب التفكير المفرط في موضوع ما، مثل الخوف من امتحانات الثانوية العامة، أو الخوف من غرفة العمليات الجراحية، فيأتي هاجس ذلك الشخص يجعل حياته مضطربة، ويقلبها رأساً على عقب. ذلك تماماً الذي قصده الكاتب من خلال جمع كلمتي كابوس ومرض كورونا، فكأنه يحدد من العنوان ما تسبب فيه هذا المرض، من تغيير جذري لحياة الناس، وأصبح الجميع حبيسين خلف الجدران، يخافون التعامل مع من خلف جدرانهم، فهو بذلك يمثل الكابوس الجاسم على صدور الناس، ويغلق حياة العديد منهم.

وتهدف القصة إلى إظهار القيم التربوية الصالحة، وهدم القيم السلبية، بالإضافة إلى تقديم معلومات صحية تقي الطفل ومحيطه الاجتماعي من مخاطر الأمراض. وعلى غير العادة يبدأ الكاتب قصته بتقديم المقدس على المدنس، فالحاسوب ينصح صديقه

<sup>(٣٦)</sup> رضا يوسف: قصة كابوس كورونا، رسوم/ زكريا عبد العال، مجلة قطر الندى، ع ٦٤٨، مايو ٢٠٢٠م، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص ١٠-١٥.

سامي بضرورة تنظيف اليدين وغسلهما جيداً، ويضيف الجدّ مُشيرًا للكيفية الصحيحة لغسل اليدين، "تذكر غسل اليدين بالماء والصابون لمدة عشرين ثانية! ويضيف الجد: ولا تنس تخليل الأصابع!"<sup>(٣٧)</sup>، يظهر الطفل قلة اهتمام لكلام الجدّ والحاسوب، ويذهب للنوم مباشرة، وفي ذلك مخالفة للقيم السوية التي تبني مجتمعًا سويًا، ويزيد على ذلك أن سامي لا يهتم بنظافة غرفته، ويترك القمامة على الأرض، "ياه! أنا نسيت أرمي هذه المخلفات!"<sup>(٣٨)</sup>، استخدم الكاتب هذين الفعلين من نصائح الجد والحاسوب وما يمثلانه من المقدس، وفعل سامي وإهماله لنظافته ولنظافة الغرفة وما يمثلانه من المدنس، وينتقل الكاتب بعدها في نقلة مترابطة ومستنتجة لما قبلها من إهمال سامي، تأتيه في حلمه الفيروسات، وتوقفه من النوم وتتجاوز معه، فيندش قائلاً: "يا سلام سلم القمامة بتكلم!"<sup>(٣٩)</sup>، يستند الكاتب في هذه الجملة على مخزونه التراثي الأدبي، خاصة التراث الشعبي، فهذه الجملة تُعدُّ مثلًا له أصل شعبي قديم، حدثت قصته في مصر المملوكية في عهد السلطان الظاهر برفوق، وأصل المثل هو "يا سلام سلم الحائط بيتكلم"<sup>(٤٠)</sup>، ويستبدل الكاتب كلمة الحائط بما يناسب القصة وموضوعها، ويوظفها حسب سياق الكلام، ويقول: يا سلام سلم القمامة بتكلم، وهو تعجب واندهاش من الطفل: كيف للجماد أن يتكلم؟! وكان ذلك بداية الحوار بين الطفل والفيروسات، ويلتفت الكاتب التقانة مهمة، ومقصودة منه، وهي على الرغم من كون سامي يمثل الجانب المدنس في القصة إلا أنه يذكر على لسانه فعلاً مقدسًا، حيث تجنب مصادقة من لا نعرف، خاصة المشبوه منهم أو من نرتاب في أمره، في بداية حديثه مع الفيروسات، يقول الفيروس: "أهلاً يا صديقي!

<sup>(٣٧)</sup> رضا يوسف: قصة كابوس كورونا، المصدر السابق، ص ١.

<sup>(٣٨)</sup> رضا يوسف: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

<sup>(٣٩)</sup> المصدر السابق، الصفحة نفسها.

٤٠) قصة المثل: أحمد بن الفيشي من الحنفية دخل إلى منزله بالقرب من الجامع الأزهر فسمع صوتًا من جدار بيته يقول له: اتق الله وعاشر زوجتك بالمعروف. فظن أن هذا من الجان فإنه لم ير شيئًا وحدث أصحابه بذلك، فصاروا معه إلى بيته، فسمعوا الكلام من الجدار، فسألوا عما بدا لهم، فأجابهم المتكلم من غير أن يروا شيئًا، فغلب على ظنهم أن هذا من الجان وأشاعوه في الناس، فارتجت القاهرة ومصر وأقبل الناس من كل جهة إلى بيت ابن الفيشي لسماع كلام الحائط وصاروا يحادثون الحائط بزعمهم ويحدثهم فكثير بين الناس قولهم: يا سلام سلم الحائط بيتكلم، وكاد الناس أن يفتنوا بهدًا وجلبوا إلى ذلك الجدار من الطب شيئًا كثيرًا وحضرت العذراء من خدرها إليه.

أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين المقرئ: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - لبنان، بيروت ١٩٩٧م،

ج ٥/ص ٦٩.

فيجيبه سامي: لسنا أصدقاء! من أنت؟!<sup>(٤١)</sup>، لكن يأتي الرد قويا من الفيروس، ويخبره بأنه صديقه لأنه يترك الغرفة متسخة، ويهمل في نظافتها. يبدأ الحوار العلمي، وسرد بعض المعلومات العلمية عن الفيروسات الخطيرة، التي أثرت في حياة الكائنات الحية على مدار التاريخ، الفيروس المتحدث فيروس كورونا، وتحدث عن: فيروس إنفلونزا الخنازير، وفيروس الإنفلونزا الإسبانية. والحوار فيه موضوعي، يذكر فيه الأسباب والأعداد وسنوات الانتشار والضعف وأسماء البلاد التي انتشر فيها، وفي أثناء الحوار يقول سامي: "ما أشبه الليلة بالبارحة"<sup>(٤٢)</sup>، للمرة الثانية في القصة يتكئ الكاتب على مخزونه الثقافي المأخوذ من التراث الأدبي، خاصة الأمثال العربية، فهذه الجملة: "ما أشبه الليلة بالبارحة"، مثل عربي قديم، ذكر أن الذي قاله طرفة بن العبد في أبياته الشعرية عندما تبدل عليه الناس، وخدعوه ومكروا به، ومعناه: "ما أشبه بعض القوم ببعض. يضرب في تساوي الناس في الشر والخديعة. وهو من بيت أوله:

كُلُّهُمْ أَرَوْعٌ مِنْ نَعَابٍ ... مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ

وإنما خص البارحة لقربها منها، فكأنه قال: ما أشبه الليلة بالليلة، يعني أنهم في اللوم من نصاب واحد.<sup>(٤٣)</sup>، والمقصود هنا ما أشبه تأثير فيروس الأنفلونزا الإسبانية في عدد الوفيات والإصابات بتأثير فيروس كورونا هذه الأيام في عدد الوفيات والإصابات. ينتهي الحوار بين الفيروسات وسامي باستيقاظ سامي مفزوعاً، وينتقل الحوار ليصبح بين سامي وجده والحاسوب، ويستمر الحوار عن الفيروسات أيضاً، وعندما يسأله جده عن سبب صراخه، يخبره بأنه رأى كابوساً مفزوعاً عن الفيروسات. وفي نهاية الحوار عن الفيروسات بينهم استطاع أن يصل الكاتب عن طريق الجد والحاسوب إلى جعل سامي يطلب المقدس بنفسه، وهو سؤاله عن كيفية حماية النفس من هذه الأمراض والأوبئة، يقول:

سامي: كيف أتجنب العدوى من هذا الوباء؟

الجد: عدم التواجد في الزحام، مع الحرص على مسافة متر أو مترين بين الأشخاص.

الحاسوب: عدم ملامسة الأسطح مباشرة؛ فقد تكون ملوثة بالفيروس.<sup>(٤٤)</sup> ويستمر الحوار بينهم موضحين طرق الوقاية من هذا الوباء، وبذلك يكون

(٤١) رضا يوسف: قصة كابوس كورونا، المصدر السابق، ص ١١.

(٤٢) رضا يوسف: المصدر السابق، ص ١٢.

(٤٣) أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان، ج ٢/ ص ٢٧٥. سليمان بن صالح الخراشي: المنتقى من أمثال العرب وقصصهم، دار القاسم للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٧م، ص ١٥٢.

(٤٤) رضا يوسف: قصة كابوس كورونا، المصدر السابق، ص ١٤.

اجتمع الثلاثة على المقدس، يظهر في الالتزام بالمثل والقيم الرفيعة التي تتأى بالجميع عن الأذى، بل وتحافظ على المجتمع بأثره.

اختار الكاتب في قصته ثلاث شخصيات؛ ليعطي القصة مجالاً من التنوع الحواري بين الشخصيات، وحتى لا تكون المحادثات رتيبة ومملة للمتلقي، بل يزيد على ذلك اختيار شخصية مستحدثة ليست من البشر، وإنما شيء محبب للأطفال، وهو جهاز الحاسوب، فالأطفال بل والكبار يقضون أغلب أوقاتهم مع حواسيبهم.

وأضاف الكاتب أسلوب الفكاهة في عرض القصة؛ نظرًا لأنه يقدم محتوى أقرب إلى العلمية تمامًا، من معلومات وطرق وقاية من الأوبئة، ونصائح تربوية، وحتى لا يصاب القارئ أو المستمع بالتخمة أو السأم، استخدام الحاسوب للتلميحات وليس الكلام المباشر مع صديقه سامي، وذكره أنه سيأكل الطعام الصحي بالنسبة له، واعتماد الطفل سامي الردود التي تحتوي على مزاح أو تعجب مع تعبيرات الوجه المدللة، عندما قال: يا سلام سلم القمامة بتتكلّم! وأيضًا: يا خبر! كل ذلك أفاد في تقديم القصة للمتلقي. بالنسبة للقيم المتناولة في القصة، فقد تعددت ما بين قيم تربوية وقيم صحية، بالإضافة إلى المعلومات التي تم عرضها، ومن هذه القيم:

- المحافظة على نظافة الجسم دائمًا، حيث يطلب الجد والحاسوب دائمًا من سامي غسل يديه جيدًا.
- عدم إلقاء القمامة في المكان الذي نعيش فيه، وتجميعها في المكان المخصص لها، فعل سامي وتركها في البيت، وتجمع الفيروسات حولها.
- تجنب مصاحبة من لا نعرف، عندما قال سامي للفيروس: من أنت لتناديني بصديقي؟!.
- التعرف على طرق الوقاية وتجنب العدوى بالأوبئة والأمراض المعدية، طلب سامي من جده أن يخبره عن كيفية تجنب العدوى.
- تناول الأطعمة الطازجة، وخاصة الخضروات والفاكهة.

النموذج التالي قصة موضوعها ديني، خاص بعبادة مهمة من العبادات الدينية، وفيها صعوبة على الأولاد في تعويدهم على أدائها والقيام بها، تلك العبادة موضوع القصة هي الصوم، الركن الرابع من أركان الإسلام، ومن شروطها البلوغ، يعني تجاوز سن الطفولة، وقبل ذلك السن يكون تدريب للأطفال لتعريفهم بالصوم، ولحثهم عليه. وتتناول إلى جانب الصوم أغراضًا وقيمًا أخرى، عنوان القصة عيد سعيد<sup>(٤٥)</sup>، يبدأ الكاتب بالمقدس، ويذكر اللطيفة الأولى والقيمة التربوية الدينية المهمة، وهي مسألة عد فرض العبادة على الأولاد فرضًا إجباريًا، بل اتباع أسلوب الترغيب والتحبیب، وأسلوب

<sup>(٤٥)</sup> عبد الجواد الحمزاوي: قصة عيد سعيد، رسوم/ سامح يحيى، مجلة قطر الندى، ع ٦٤٨ / مايو ٢٠٢٠، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص ٢٠-٢٣.

المكفآت، ومعرفة الأمور الصعبة والتدرج في تنفيذها، الأب لم يفرض الصوم على أولاده الذين لم يتموا سن البلوغ، بل جعلهم يصوموا بعض الأيام، ويثيبهم معنوياً ومادياً على فعلهم:

أحمد: أنا صمت خمسة عشر يوماً حتى الآن، سأخذ مكافأة عن صيامي، إضافة للعيدية.

فاطمة: وأنا صمت عشرين يوماً.

الأب: سأعطيكم مكافآت على الصيام كما وعدتكم، وعيديات.<sup>(٤٦)</sup>

أسلوب الحوار بين الأب وأبنائه يدل على الدعم المعنوي والحب المتدفق داخل الأسرة، بالإضافة إلى الدعم والإثابة المادية لهم، ويستمر ذلك المقدس في فعل آخر، عندما يسأل الأب عن كيفية قضاء يوم العيد، فيجيبه أحمد قائلاً: "أول يوم؛ سنذهب لزيارة أقاربنا، ونعيد عليهم"<sup>(٤٧)</sup>، ذلك من السنن والعادات التي تقوي أوامر المحبة بين الأقارب، وتدعو الناس إلى الاجتماع، والشعور بدفء العائلة الكبيرة. يتجه بعد هذين الفعلين إلى فعل مذموم دينياً ومجتمعياً، وهو المخاصمة بين الناس، فعل مدنس منتشر بين الكثير، سواء الكبار أو الصغار، ويتعرض الكاتب له في فعل الطفلة فاطمة مع ابنة خالتها غادة، "أنا مخاصمة غادة، ولن أصالحها أبداً"<sup>(٤٨)</sup>، هذا الفعل القبيح جاء نتيجة فعل آخر مثله، عندما سألت الأم ابنتها عن السبب، قالت لها: "حينما ذهبنا لنفطر عند خالتي؛ كنت أنا مفطرة، وكانت غادة صائمة، فأخذت تعيرني، وتضحك عليّ كثيراً.. فخاصمتها"<sup>(٤٩)</sup>، فلولا مبادرة غادة بالتنمر من فاطمة ما خاصمتها، والكاتب لم يقل أن فعل المخاصمة من فاطمة جيد، وأنه يجب أن تستمر عليه، بل جعل أمها تناقشها في ذلك، وتوضح لها أن فعل غادة خطأ، لكن يجب ألا يستمر الخصام كثيراً، واستندت في كلامها إلى الحديث الشريف: "أنت تحفظين حديث النبي يا فاطمة (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)، ونحن كنا عندهما منذ أسبوع، فلا بد أن تتصالحا"<sup>(٥٠)</sup>، يستخدم الكاتب رصيده من المخزون الثقافي الديني، خاصة الحديث الشريف<sup>(٥١)</sup>؛ ليؤكد

<sup>(٤٦)</sup> عبد الجواد الحمزاوي: قصة عيد سعيد، المصدر السابق، ص ٢٠.

<sup>(٤٧)</sup> عبد الجواد الحمزاوي: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

<sup>(٤٨)</sup> المصدر السابق، ص ٢١.

<sup>(٤٩)</sup> السابق، الصفحة نفسها.

<sup>(٥٠)</sup> السابق، ص ٢٢.

<sup>(٥١)</sup> حدثنا يحيى بن يحيى. قال: قرأت على مالك عن ابن شهاب، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي أيوب الأنصاري، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام."

أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٥٥م. كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث، بلا عذر شرعي. ج ٤/ ص ٩٨٤.

كلامه السابق بحجة قوية. ويعضد الكاتب موقف المقدس في القصة بفعل شخصيات أخرى، تأتي عادة وأمها؛ لمصالحة فاطمة عمًا بَدَرَ منها، تقبل فاطمة الاعتذار برحابة صدر، وينتهي الموقف لصالح الفعل المقدس، وإجماع الشخصيات جميعها عليه، وضدهما للفعل المدنس سواء التتم على الآخرين، أو المخاصمة.

من الأمور الحميدة التي أشار لها الكاتب في هذه القصة، أسلوب المشاركة بين أفراد الأسرة جميعًا، فليس إدارة البيت ورعاية شؤونه حكر للأب، بل يشترك الجميع في ذلك، وبالإضافة إلى ظهوره في الأسلوب الحوارية منذ البداية فيظهر مرة أخرى في قول الزوج لزوجته: "لقد تأخر الوقت، وسأنزل بسرعة لأصلي العشاء جماعة والتراويح، واعرفي أنت يا أم فاطمة سبب خصامها مع عادة"<sup>(٥٢)</sup>، وهذا يظهر ضمنيًا القيمة التي يريد أن يوصلها للمتلقي، أن أساس الحياة الطبيعية يكون في الأسرة التي تتبع المشورة فيما بينها، وتكون إدارة البيت موزعة على كل الأفراد، وليس خاصة لشخص واحد، وذلك يعود بالنفع على الأسرة جميعها عندما يخرج أجيال لديها حرية اختيار، ويكون لديها القدرة على الإفصاح عن اختياراتها والدفاع عنها. فعندما يخطئ الطفل ويوجهه الوالدين ستكون اختياراته المستقبلية أقرب إلى الصواب، وتكون عن قناعة منه، وذلك يخلق مجتمعًا قويًا ونافعًا لكل من حوله.

اشتملت القصة على مجموعة من القيم النافعة المقدمة للأطفال، منها:

- اجتماع الأسرة حول الطعام، والمشاركة في الحوار.
- اتباع أسلوب الترغيب وليس الإجبار مع الأطفال، وتحبيبهم في الأشياء المقدس في حياتنا.
- تجنب المخاصمة بين الناس.
- المبادرة إلى الأفعال الحميدة.

النموذج التالي المتناول لتقديم المقدس والمدنس مجموعة ممتدة من المغامرات، اتخذت شخصياتها من النمل، وسيتم تناول ثلاث قصص منها في البحث، الأولى بعنوان أخطار الغابة، والثانية المستعمرة المفقودة، والأخيرة جزيرة المجهول، تولى القصص الثلاث القيم التربوية مكانة كبيرة، وتظهرها في ثوب المقدس والمدنس، وما يجب اتباعه، وما يجب تجنبه. تعطي العناوين الثلاثة دلالة ضمنية مقصودة، ومرتببة لغويًا، فالغابة مملوءة بالعديد من المخاطر والصعاب التي تواجه من يعيش فيها إذا لم يتجنبها، وكذلك العالم الخارجي (خارج البيت) بالنسبة للأطفال، فهو عالم ممتلئ بالمخاطر التي لا يقوى على مواجهتها الطفل بمفرده، لكن إذا رافق والديه أو اتبع نصائحهم سينجو من تلك الصعاب. والمستعمرة كلمة أصلها المكان الذي يصلح للحياة الجيدة، وتنتشر فيه العديد من مقومات الحياة السعيدة التي تشمل جميع الطوائف، وربط كلمة المستعمرة

<sup>(٥٢)</sup> عبد الجواد الحمزاوي: قصة عيد سعيد، المصدر السابق، ص ٢١.

بالمفقودة ليلمح إلى أن الناس يبحثون دائماً عن المكان الأفضل؛ ليعيشوا فيه، ويظل الإنسان ينتقل من مكان لآخر؛ ليحصل على ذلك، لكن العثور عليه فيه صعوبة بالغة، ويناله من يستحقه. وجزيرة المجهول، جمع المجهول غير المعروف مع الجزيرة لسببين، الأول أكثر حياتنا في مصر ليست في جزر، بل أغلب المصريين لم يذهبوا إلى جزيرة من قبل، علاوة على أن الجزر في مصر تعد على الأصابع، فجمع المجهول مع الجزيرة مستمد من الواقع الذي يحياه المصريون، وقلة معرفتهم بالجزر، ولذلك تبقى الجزر عند أكثرهم مقرونة بالمجهول، الآخر المخزون التراثي في عقل الكاتب، حيث يستمد ذلك العنوان وفكرته من ليالي (ألف ليلة وليلة)، حكايات السندياد ومغامراته، فرحلات السندياد كانت تجري في البحار، وفي كل رحلة كان يهبط على جزيرة لا يعرف ما الذي سيقابله فيها، فالبنسبة له جزيرة مجهولة.

تجسيد شخصيات القصة في النمل له دلالاته الضمنية، والتي يرمي إليها، بالإضافة إلى تجسيد شخصية النحل، ومما يهدف إليه الكاتب ضمناً من وراء اختيار هاتين الحشرتين، حيث النظامية التي يعتمدانها في الحياة، ومعلوم عن النمل والنحل أنهما يعيشان في مجموعات، فالنمل يعيش في قرى، والنحل يعيش في خلايا، ويتجمعان حول ملكتهم، ويرعونها ويحافظون عليها، والعمل لديهم يقوم في الدرجة الأولى على التعاون بين الأفراد، فلا يعيش كل فرد بمعزل عن الآخر، ولا يعتمد النحل أو النمل إفساد البيئة من حوله، بل ينتفع الإنسان من وراء النحل انتفاعاً عظيماً، ومن ذلك يطمح الكاتب أن يستفيد المتلقي من صفات ونظام وتعاون النمل والنحل ويوظفه؛ ليحيا حياة ينتفع بها.

الشخصيتان البارزتان في العمل، شخصية نمم ونمنمة، وهما نملتان صغيرتان، ويرجح نمم المدنس ونمنمة ترجح المقدس، حيث نمم يمثل فئة ليست بالقلبية، فالأطفال يميلون إلى استكشاف العالم من حولهم، ومعرفة كل جديد، بل وتجريب المحظور؛ لمعرفة سبب حظره عليهم دون مبالاة بالنتيجة، ولركونهم لقاعدة الممنوع مرغوب، وهو بذلك يخالف قواعد القيم الصحيحة ويميل إلى المدنس، يقول نمم: "ليكن قلبك جريئاً مثلي.. لقد مللت البقاء في المستعمرة. دعينا الآن نتذوق تلك الثمار الطازجة.. لقد مللت الطعام المخزن الذي طالما أكلنا منه... أممم.. لذيذ جداً.. تذوقي!"<sup>(٥٣)</sup>، لا يفتر نمم ذكر جرأته وشجاعته، ذلك النشاط المنتشر لدى الأطفال جميعاً، وإرادته تخطي الأبواب المغلقة؛ ليكون حراً في العالم الخارجي، ولا يتقيد بالجماعة وقوانينها. وتمثل نممنة الفئة الأخرى من الأطفال، هؤلاء الأطفال الذين يتعاملون في أغلب الأوقات بحذر، ويتبعون تعاليم الوالدين والأسرة، ويتجنبون المخاطر، "يكفي هذا يا نمم، فلنعد للمستعمرة، أنا أشعر بالخوف والجوع! نحن لم

<sup>(٥٣)</sup> محمود درويش: أخطار الغاية، رسوم/ آمال خطاب، مجلة قطر الندى، ع ٦٤٣ / ص ٤٦.



نستأذن قبل الخروج.. وابتعدنا عن المستعمرة.. وأخشى أن تقابلنا أية أخطار...!!<sup>(٥٤)</sup>، حوار مواجهة بين طاعة تعليمات الآباء والكبار وهؤلاء الذين يريدون أن يتفقتوا من هذه التعليمات، وهي بذلك تمثل الجانب المقدس.

تأتي فئة مختلفة عن السابقتين، فئة القائد منوم المسئول عن حماية النمل ومستعمرة، عندما تعرض نمم ونممة للمخاطر ظهرت مجموعة حراس النمل، ودافعت عنهما وأمنتهم، ثم قال القائد منوم: "ما الذي جعلك تخرج من المستعمرة وحدك؟ أليس هذا خطرًا عليك؟!... هناك حساب ينتظرك في المستعمرة"<sup>(٥٥)</sup>، يمثل القائد منوم الوالدين، ودورهما الكبير في حماية أولادهم، وتوجيههم نحو الصواب، تجد الأب والأم يظهران فجأة لحل مشكلات أولادهم وتخليصهم مما أوقعوا أنفسهم فيه.

وليزيد الكاتب من حبكة قصته، يضيف عنصر الإثارة عليها، ويعدد من الشخصيات المعادية في الحياة، فالنمل الصغير الأحمر يعاديه النمل الأسود الكبير، إلى جانب معاداة عنكبوت لكليهما، "لا تخشي شيئاً؛ فنحن صغار، وحجمنا لا يغري أي عنكبوت.. وإن تعرض لك أي فرد من مستعمرة النمل الأسود فسوف أنا منه قبل أن يمسك بسوء"<sup>(٥٦)</sup>، في ذلك إشارة خفية ضمنية من الكاتب للمتلقي، وفيها توعية جلية يفهما المتلقي بطريقة سلسة؛ تأتي نتائجها تالية لمقدماتها المتقنة الحبكة، ليتقبلها ويقنع بها، والملح الذي يقصده الكاتب ويربط به بين القصة والواقع هو كثرة خروج الأطفال دون استئذان، ولعبهم مع الآخرين الغرباء، وفي الوقت نفسه هؤلاء الغرباء يتربصون وينتظرون ضالّتهم، ويتصيدون الأوقات التي يميل فيها الأولاد عن حياض الأسرة وتعاليمها، ثم ينفذون ما خططوا له.

من المواقف التي يبرز فيها المدنس تجاه المقدس موقف نمم وخديعته وكذبه على نممة، وإخافتها بوجود عنكبوت خلفها، "ما الذي يقترب من خلفك يا (نممة)؟ أليس هذا عنكبوتًا أسود؟! يا إلهي آآآآه... النجدة!! اجري يا نممة.. لقد خدعتك! ولم يكن هناك أي عنكبوت... ها ها ها.."<sup>(٥٧)</sup>، تعمّد نمم إخافة نممة، وكذب عليها، وذلك فعل مشين ومنهي عنه في الحياة جميعها، وواجهته نممة بتوضيح مدى ما أصابها من زعر، وأن ذلك غير محبب لديها.

ومن النقاط البارزة التي اختار الكاتب من أجلها النمل لتجسيد شخصيته ويضرب المثل ليدلّل عليها، ويميل بها ناحية المقدس العمل في جماعة، واشتراك جميع الطوائف العمرية في العمل (شباب وما قبل الشباب وشيوخ)، كل في مكانته ومكانة الذي يستطيع العمل والعطاء فيه، يشترك النمل الصغير (نمم ونممة) مع النمل الكبير في

<sup>(٥٤)</sup> محمود درويش: أخطار الغاية، المصدر السابق، الصفحة نفسها.

<sup>(٥٥)</sup> محمود درويش: المصدر السابق، ص ٤٩.

<sup>(٥٦)</sup> محمود درويش: المصدر السابق، ص ٤٦.

<sup>(٥٧)</sup> المصدر السابق، ص ٤٧.

جمع العسل، "سأقوم مع نممة بحمل ورقة الشجر.." (٥٨)، ويلمح الكاتب هنا إلى إشراك الأطفال في الأمور التي يستطيعون فعلها مع الوالدين، وعد التقليل من شأنهم؛ فذلك من شأنه أن يجعلهم على قدر المسؤولية في المستقبل، ولأن الطفل لا يتعلم مرة واحدة، بل يبدأ بالقليل ثم يزيد شيئاً فشيئاً. موقف آخر يشترك فيه الجميع في التفكير في مسألة المستعمرة المفقودة، يصور الكاتب جميع النمل يتناقشون للوصول إلى حل هذه المعضلة بالنسبة لهم، "ومن نجا منهم بنى المستعمرة التي نساكنها حالياً.." (٥٩)، وتظهر في القصة الثانية شخصية يلجأ إليها النمل؛ ليسأله عن جزيرة المستعمرة، ويفسر لهم بصفتها الحكيم نملاطون، ويستخدم الكاتب في تلك الشخصية الجنس الناقص، حيث الحكيم (نملاطون) مع الفيلسوف (أفلاطون)، وذلك استلهام من الكاتب واتكاء على مخزونه العقلي الثقافي، فالفيلسوف أفلاطون تميز في الفلسفة، وعرف بتفسيراته للعلوم، واشتهر في العالم بأسره، وله تلامذة كانوا يلجأون إليه في فهم المسائل الفلسفية، والحكيم نملاطون مثله، يلجأ إليه النمل ليفسر ويوضح لهم ما خفي عليهم من الأمور، "لن يحدد هذا إلا خبير في هذا المجال!! كيف حالك يا حكيم نملاطون.. لم أرك منذ فترة طويلة.. أود أن أطلعك على أمر هام.." (٦٠)، وبالنسبة لما يركن إليه الكاتب ومراده الموجه للأطفال وجود مسائل متعددة تقابلهم وتواجههم في حياتهم اليومية، ويلجأون في ذلك إلى والديهم؛ ليفسروا لهم ذلك، وكلام الوالدين مصدق ومأخوذ به عند الأطفال، تماماً مثل كلام الحكماء والفلاسفة.

عندما ساعد النمل النحلة المصابة، سمعوا منها تهمهم بكلمات، منها (جزيرة المستعمرة)، ثم ذهب النمل إلى الحكيم نملاطون يفسر لهم ذلك، وهل هذه المستعمرة حقيقية أم أسطورة قديمة؟ أجابهم نملاطون: "هذه هي مستعمرة الأجداد.. كانوا أصحاب حضارة.. لكن حاصرهم الفيضان فجأة" (٦١)، يستند الكاتب في ذكره للمستعمرة على سد مأرب، وانهييار سد مأرب، والذي تسبب في دمار كبير للمنطقة من حوله، وأدى إلى نزوح القبائل التي تسكن المنطقة إلى مناطق أخرى، "ودولتهم يومئذ أوفر ما كانت، وأترف وأبذخ وأعلى يدا وأظهر، فلما طغوا وأعرضوا سأل الله عليهم الخلد، وهو الجرذ فنقيه من أسفله فأجحفهم السيل، وأغرق جناتهم، وخربت أرضهم، وتمزق ملكهم، وصاروا أحاديث.." (٦٢)، كانت تلك المنطقة قبل بناء السد منطقة خراب؛ لا يوجد فيها

(٥٨) محمود درويش: المستعمرة المفقودة، رسوم/ آمال خطاب، مجلة قطر الندى، ع ٦٤٧ / مايو ٢٠٢٠م، ص ٤٦٠.

(٥٩) محمود درويش: المستعمرة المفقودة، المصدر السابق، ص ٤٧.

(٦٠) محمود درويش: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٦١) المصدر السابق، ص ٤٧.

(٦٢) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، مرجع سابق،

ص ٧٨٤/٦٢١.

ماء، ويأتي الفيضان يأخذ كل شيء أمامه، ولا يستفيدون منه، لكن ببناء السد استوت وطابت لهم الحياة ورغدها، وبدمار السد رجعت حياتهم كما كانت خربة. "وقد روى أهل الأخبار قصصاً عنه وعن كيفية خرابه، وتشتت شمل سبأ بسببه، ونزوحهم إلى مواضع بعيدة عن ديارهم القديمة"<sup>(٦٣)</sup>، الرابط في استناد الكاتب على هذا السد ذكره أنهم كانوا أصحاب حضارة، ثم جاءهم الفيضان فدمر حضارتهم، وذلك ينطبق على مملكة سبأ اليمنية، بالإضافة إلى قوله: "ومن نجا منهم بنى المستعمرة التي نسكنها حالياً"<sup>(٦٤)</sup>، وذلك يتمثل في خروج ما تبقى من قبائل سبأ وهجرتهم إلى الدول القريبة منهم خاصة أرض الحجاز.

لم يغفل الكاتب مع سرده لتلك الأحداث المشوقة أن يبيث القيم المقدسة الواجب علينا فعلها، في بداية القصة عثر النمل على النحلة المصابة، وقاموا بحملها إلى المستشفى ومساعدتها، وتلك خصيصة تدل على المثل العليا، فمساعدة الآخرين واجب علينا القيام به؛ لنرقى بأنفسنا ومجتمعنا، ولينتشر الحب والخير بين الناس، وترجع الثقة بين أبناء الوطن الواحد. ولم يغفل الكاتب تقديم التوعية في رد الجميل لمن يساعد الآخرين، بعد شفاء النحلة تشكرهم على مساعدتهم لها قولاً وفعلًا، قولاً في المستشفى: "أشكركم على إنقاذي.. أنا مدينة لكم بالكثير!"<sup>(٦٥)</sup>، ومرة أخرى بالفعل تساعدهم وتخلصهم من خطر النمل الأسود، عندما يستولي على الصندوق الذي عثروا عليه في جزيرة المستعمرة.

يستمر الكاتب في الاتكاء على مخزونه التراثي، وهذه المرة يرجع إلى التاريخ المصري القديم، "تماماً كما توقعتها!! كم كان الأجداد عظاماً!"<sup>(٦٦)</sup>، تتضمن هذه الجملة التي ذكرها نملاطون على إشارة خفية، فيها ذكر للأجداد العظام، ويشير إلى أجداده من المصريين القدماء، لما برعوا فيه من حضارة كبيرة في شتى أنواع العلوم والمعارف. ويذكر إشارة أخرى عندما يأخذون وقتاً كثيراً في البحث للوصول إلى الغرفة الملكية، وعندما يدخل نملاطون الغرفة الملكية لكنه لم ينتبه ويسقط على الأرض، "أنقذوني يا حراس. خذ حذرك يا حكيم نملاطون؛ فالأجداد كانوا يظنون أنك من اللصوص"<sup>(٦٧)</sup>، كان المصريون القدماء يصممون مقابرهم الملكية بطريقة بارعة ولا يستطيع الوصول إليها بسهولة، وذلك لكثرة نباشي القبور الملكية في ذلك الوقت من

<sup>(٦٣)</sup> جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقى، القاهرة، ط ٤ / ٢٠٠١م، ص ٢٠٩.

<sup>(٦٤)</sup> محمود درويش: المستعمرة المفقودة، المصدر السابق، ص ٤٧.

<sup>(٦٥)</sup> محمود درويش: المصدر السابق، ص ٤٨.

<sup>(٦٦)</sup> محمود درويش: جزيرة المجهول، رسوم/ آمال خطاب، مجلة قطر الندى، ع ٦٤٨ / مايو ٢٠٢٠م، ص ٢٨٠.

<sup>(٦٧)</sup> محمود درويش: جزيرة المجهول، المصدر السابق، ص ٢٩.

## الهوية المصرية الدينية وتجلياتها في قصص الأطفال – قراءة ثقافية...، الصادق الدردير

للصوص، أو من المستعمرين، أو من الملوك الجدد الذين يطمثون هوية من قبلهم، "فصل القبر عن المعبد حتى لا يعرف للصوص مكان القبر... وفضل هذا الملك أن يدفن في مكان خفي بعيد عن العيون"<sup>(٦٨)</sup>، ويستنتج من ذلك أن الكاتب مزج في مرجعيته بين الحضارات القديمة، حضارة سبأ والحضارة المصرية القديمة، واستلهم منهما ما يخدم نضجه، ويلهمه في تقديم موضوع القصة بأسلوب شيق يربط المتلقي بالتراث القديم والإثارة والمتعة في أن واحد.

ويتمثل الشر في نملاكو قائد النمل الأسود، الذي يتربص بجماعة النمل، ويهجم عليهم ويهددهم ويسرق منهم الكنز الذي عثروا عليه في الجزيرة، وتحدث بينهم مناوشات وكر وفر ومساومات، لكن يظهر في النهاية الذي يغير مسار الدفة لناحية جماعة النمل ويساعدهم في مواجهة الشر، تظهر النحلة وترد لهم الجميل وتساعدهم من نملاكو. مثل نملاكو في هذا المشهد الأخير المدنس، ويهدف الكاتب لإظهار هؤلاء الناس الذين يشبهون النباتات الطفيلية، خاصة الهالوك، الذي يستمد غذاءه على حساب الكائنات الأخرى، يمتصها حتى تموت، وكذلك نملاكو يسرق مجهود الآخرين، وأورد الكاتب ذلك المشهد ليعطي صورة جلية عن هؤلاء الناس، والتنبه في التعامل معهم.

حوت القصص الثلاث على العديد من القيم التربوية، إلى جانب المعلومات المقدمة عن النمل، والإثارة والمتعة التي تضيف جواً حماسياً عليها، ومن القيم الواردة:

- الالتزام بالقوانين الخاصة بتنظيم المجتمع، وتجنب تجاوزها من أجل الاكتشاف.
- طاعة الوالدين وال كبار، والحذر من الحديد عن حياضهم.
- تجنب الكذب وخداع الآخرين، وأن المزاح واللعب يكون بعيداً عن ذلك.
- إثارة الآخرين على النفس، والمحافظة عليهم، في فعل نمنم مع نممة عندما هجم عليهم العنكبوت.
- مساعدة الآخرين وتقديم يد العون لمن نعرف ومن لا نعرف، ويتمثل في مساعدة النمل للنحلة.
- الحوارية البناءة بين أفراد المجتمع الواحد، تشاور الجميع حول المشكلات التي تواجه المستعمرة.
- ردُّ الجميل لمن صنع معنا المعروف، وتجنب نسيان ذلك، شكر النحلة للنمل ومساعدتهم في التخلص من النمل الأسود.
- التعاون البناء داخل الأسرة والمجتمع، المتمثل في مستعمرة النمل.
- المحافظة على حياة الإنسان، وأنها لا تساويها كنوز الدنيا كلها، وكل أفراد المجتمع لهم تلك المكانة.

<sup>(٦٨)</sup> محمد إبراهيم بكر: موسوعة تاريخ مصر عبر العصور – تاريخ مصر القديمة، إشراف دكتور عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م، ص ١٨٧/١٩٢.

• المحافظة على النفس، والابتعاد عن المخاطر.

النموذج التالي نموذج قصصي مُقَدَّم للأطفال، لا يعتمد على طريقة الكوميكس في عرض القصة مثل القصة السابقة عليه، بل طريقة الحكى المعروفة، مع تقديم بعض الصور الدالة والمعبرة عن أحداث القصة، قصة السَّبَّورة الغاضبة<sup>(٦٩)</sup>، يتناول الكاتب فيها ثنائية المقدس والمدنس، ويلتمس تقديمها بالتداخل مع الفنون الأخرى، ويظهر ذلك في القراءة الثقافية التالية، يلجأ إلى عالم الألوان للبدء في قصته، ويأخذ منها مدخلاً، ويختار اللون الأخضر، ويعلم حبه له من خلال حب الطفل للون الأخضر، واختياره لهذا اللون لما يسببه في النفوس من تأثير كبير على مختلف الناس، ويبعث في أرواحهم الطمأنينة وصفاء الذهن. ويقع الكاتب في أسر اللون الأخضر؛ لتناوله له في قصص عديدة موجهة للأطفال، واستخدامه له لا يكون عن قصد منه أو ترتيب، بل نتيجة للعقل اللاواعي الذي يتكئ عليه أكثر الكتاب، ويتضح الحسّ الإبداعي من خلالها، غير أولئك الكتاب الذين يخططون ويبحثون ويفنون قبل أن يبدؤوا في كتابة أعمالهم.

يبدأ الكاتب بذكر المقدس، وهو الاحتفال بيوم عيد الأم، والتنبيه على مكانة الوالدين، وأن الهدية التي تُعطى للأُم تقديرًا لها واحترامًا لها، مع اختلاف قدر الهدية و ثمنها، "أعلنت المدرسة حالة الطوارئ، فالיום احتفال عيد الأم"<sup>(٧٠)</sup>، بهذا الإعلان تُعلي المدرسة من القيم السوية في المجتمع، وذلك عبر اجتماع الأطفال في المدرسة جميعًا في الفناء، والاستماع إلى الأناشيد المعبرة عن يوم عيد الأم، ويشعر الطفل في هذا الاجتماع بقيمة برّ الوالدين، وأنها قيمة مجتمعية يجب على الجميع اتباعها، والعمل بها، ومنها مواكبة المدرسة لأحداث المجتمع، وربط المدرسة بالمجتمع، لأن لها نصيب الأسد في التأثير على الطفل وتنمية القيم العليا لديه.

يدلف إلى المدنس، ويعرضه بطريقة سلسلة منظمة، الطفل سليمان لم يشتر هدية لأمه مثل الأطفال، وجلس حزينًا شاردًا في الفصل، ووجد نقودًا، "أحس بالفرح، بدأ يتقافز من السعادة، عشرة جنيهات كافية كي أقدم هدية لأمي وأشتري قلمًا جديدًا وكراسة نظيفة"<sup>(٧١)</sup>، فعل سليمان وتفكيره يُعدّ تمثيلًا للمدنس، فهو لم يفكر أولًا في البحث عن صاحبها، وردّها إليه، بل فكّر في نفسه وكيف ينفقها، فميله لهذه الناحية ميلًا للجانب المدنس بداخله. لكن لم يدُم ذلك طويلًا؛ وَجَدَ المدنس من يقف تجاهه ويواجهه المواجهة القوية، لم تكن المواجهة من قبل المعلم أو زميل أو الوالدين، بل من أشياء يحبها الطفل سليمان؛ ليبرز أن الخطأ خطأ، وعلينا مواجهته بكل السبل، وعدم النظر لمدى قرب مرتكب الخطأ منّا، ومدى حبنا له، جاء أولًا من حسّه الداخلي، الحسّ الذي

<sup>(٦٩)</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: السَّبَّورة الغاضبة، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٩ م.

<sup>(٧٠)</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: السَّبَّورة الغاضبة، المصدر السابق، ص ٣.

<sup>(٧١)</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: المصدر السابق، ص ٤.

ربته عليه أمه، وأصلته فيه، أنكر على نفسه ما أقدم على فعله، "أحسن بشيء غريب يسري داخله. يرفض كل شيء، لم تعلمه أمه أن يأخذ شيئاً ليس من حقه"<sup>(٧٢)</sup>، تظهر وسطية الأسرة في إحساس الطفل، ووسطيتها في التربية الصحيحة، والسير في الدروب السليمة، التي تجعل الطفل ينشأ نشأة صحيحة، يعرف فيها الخطأ فيتجنبه، ويعرف الصواب فيميل صوبه. تشتد المواجهة في غضب كل الأشياء من حول الطفل، السبورة الناعمة التي يجبها، والتي تعامله معاملة لطيفة دائماً، الآن تغير معاملتها وتغضب وتثور عليه ثورة شديدة، وكذلك المقعد وماسحة السبورة والطباشيرة، غضب وثار الجميع عليه، وقالوا له: "أنت غير أمين يا "سليمان" تأخذ ما ليس لك! ...لن تكتب مرة ثانية. أنت لست أميناً"<sup>(٧٣)</sup>، يعلو في القصة صوت الوسطية، ومواجهتها للتطرف، لكن التطرف لا يستسلم بسهولة، فتلك معركة بالنسبة لهم، يقول الطفل مجيباً على نعتهم له بأنه ليس أميناً: "أنا لم أسرق شيئاً، لم أضع يدي في جيب أحد ... أود أن تفرح أمي، لا بد أن أشتري لها هدية (وبالوالدين إحساناً)"<sup>(٧٤)</sup>، يبرز من المواجهة أن التطرف تتبع قوته من المجادلة، مجادلة الفرد المتطرف عن أفكار نابغة من داخله، فهو ينظر لنفسه في المقام الأول، ولا تهمة شئون الآخرين، وذلك الذي يظهر في إجابة الطفل، أنه لم يسعى خلف أحد ليأخذ منه، إنما وجده، وتلك ميررات المتطرفين الذين يسعون في الأرض فساداً، بالإضافة إلى استنادهم على العاطفة، وتهيجها لدى الطرف الآخر الذي يواجهه؛ لكي يلين لهم ويوافقهم في فعلهم.

يبرز المقدس والمدنس في إرضاء البشر وإغضاب الله، وهذا هو المدنس بعينه، يناقش الكاتب تلك الثنائية في القصة من خلال المقدس والمدنس، ويظهر أن الطفل يريد أن يُسعد أمه ويرضيها (في ظنه) بأية وسيلة، سواء أكانت مشروعاً أو غير مشروعاً، فعل الطفل وأخذه لمال ليس من حقه هو انحراف عن أوامر الله، وميل ناحية التطرف الذي لم يأمر به الله، "تريد أن ترضي أمك وتغضب الله"<sup>(٧٥)</sup>، وصلت المواجهة إلى الذروة، والمؤشرات تساند الوسطية ضد التطرف، ويستجيب الطفل ويتخلى عن فعله وأفكاره المتطرفة، ويقتنع اقتناعاً تاماً أن ما فكر فيه عين التطرف، وعليه تجنبه والميل ناحية الوسطية، "جرى مسرعاً كي يلحق بالحفل من أوله ويقدم الورقة المالية للناظر"<sup>(٧٦)</sup>، انتصرت الوسطية على الفكر المتطرف، ولم تقف مكتوفة الأيدي بعد الانتصار بل قدمت الدعم للطفل سليمان، وعززت موقفه أمام الجميع، وذلك مفاده دعم الأفراد الذين تخلصوا من التطرف، وإشراكهم في الحياة المجتمعية، لكي يحسوا بالفارق

<sup>(٧٢)</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: السبورة الغاضبة، المصدر السابق، الصفحة نفسها.

<sup>(٧٣)</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: المصدر السابق، ص ١٠/١٢.

<sup>(٧٤)</sup> المصدر السابق، ص ١٠/١٤.

<sup>(٧٥)</sup> نفسه، ص ١٤.

<sup>(٧٦)</sup> نفسه، ص ١٦.

بين الوسطية والتطرف، ويشعروا بقيمة الوسطية وتأثيرها في المجتمع. أثارت القصة العديد من القيم التربوية، كان أبرزها قيمة الأمانة، الصفة التي تمحورت القصة حولها، إلى جانب الآتي:

- برّ الوالدين، وتذكير الأطفال بيوم عيد الأم، ونشر الفرحة والبهجة بين الجميع.
- التربية الصحيحة للأطفال منذ نعومة أظافره؛ فذلك يؤتي بثماره في كل وقت، وحينما يجد الطفل نفسه في موقف يستوجب عليه الاختيار بين شيء إيجابي وآخر سلبي.
- ضرورة رفض الخطأ وإنكاره، حتى إذا قام بفعله شخص عزيز على قلوبنا.
- الهدية في قيمتها وليس ثمنها، والاهتمام يكون بالجواهر وليس بالمظهر الخارجي.
- ضرورة تحري الأمور التي يوصي بها الله، ويأمرنا بها، والابتعاد عن تلك التي تغضبه.

إثابة الطفل على الفعل الحسن، وكما يطلق عليها التربويون التغذية الراجعة؛ فذلك من شأنه تعزيز وتنمية القيم الإيجابية في وجدان الطفل.

#### ثنائية الوسطية والتطرف:

تُعَدُّ الوسطية من السمات المميزة للمجتمع الناجح والمتقدم، وهي حالة محمودة وخاصة أساسية من الخصائص التي ارتبط ذكرها بالدين، فإذا ذُكرت الوسطية أو ضِدّها ذُكِرَ الدين، لا سيما في العقود الأخيرة التي تمر على البشرية جمعاء؛ تعددت الأفكار والمناهج المعتنقة، والتي تقوم على فهم كل جماعة وتأويلها للنصوص، وابتلي العالم الإسلامي والعربي ومن ضمنهم مصر بتلك الجماعات التي تتخذ فهمًا واحدًا للنص، وتعنت المخالف لها بالخصم في ميدان المعركة. والوسطية نظام خلقي واجتماعي وسياسي وحضاري، ترتبط بالتوازن وعدم الميل إلى إحدى طرفي المعادلة أي الإفراط أو التفريط. وبالرغم من انتشار دعوات التطرف يوجد دعوات مناهضة لها قائمة على الفهم الصحيح للدين، والتي تعمل على حياة ينتشر فيها الحب والألفة بين جميع الطوائف، ويسعى دائمًا إلى جعل المجتمع ممثلًا بالصفاء والنقاء، والتوازن والاعتدال، ويحرره مما علق به من مظاهر التطرف ممن ليس لديهم خبرة كافية في الحياة السليمة، فهم في ظنهم يريدون الصلاح ولكن لم يسعفهم فهمهم للطريق الصحيح المؤدي له.

الأصل اللغوي للوسطية يأتي من الجذر وَسَطَ، وهي تدل على معانٍ مُتعددة تتقارب من حيث دلالتها، ومنها: العدل، والخيار، والتوسط بين الجيد والردي، وبين القادمة والأخرة، والإصبع الوسطى، والصلاة الوسطى، والوساطة، والإكرام. ويمكن إجمال المعاني التي جاءت تدلّ عليها هذه الكلمة فيما يلي<sup>(٧٧)</sup>:

<sup>(٧٧)</sup> ابن منظور: مرجع سابق، مادة (وسط)، ص ٤٨٣١ - ٤٨٣٤.

## الهوية المصرية الدينية وتجلياتها في قصص الأطفال – قراءة ثقافية...، الصادق الدردير

١. وسط بسكون السين تكون ظرفاً بمعنى (بين)، قال في لسان العرب: وأمّا الوسط بسكون السين فهو ظرف لا اسم، جاء على وزن نظيره في المعنى وهو (بين)، تقول: جلست وسط القوم، أي: بينهم.

٢. وتأتي – وسط بالفتح – اسماً لما بين طرفي الشيء وهو منه، ومن ذلك: قبضت وسط الحبل، وكسرت وسط القوس، وجلست وسط الدار.

٣. وتأتي – بالفتح أيضاً – صفة، بمعنى خيار، وأفضل، وأجود، فأوسط الشيء أفضله وخياره: كوسط المرعى خير من طرفيه، ومرعى وسط أي: خيار. وواسطة القلادة: الجوهر الذي وسطها، وهو أجودها، ورجل وسط ووسيط: حسن.

من خلال ذلك كله يتضح أن اللفظة في أحوالها المختلفة في التصريف لا تخرج في معناها عن معاني العدل والفضل والخيرية، والتوسط بين الطرفين.

وفي الاصطلاح تأتي الوسطية بالمعنى اللغوي نفسه، من حيث التوسط بين شينين، والبعد عن الميل لأحدهما على حساب الآخر، وعدم الإفراط والمغالاة في الاختيار أو الاتباع أو العمل به. والوسطية تعني الاعتدال في الشيء، واختيار الأمر الذي يسهل العمل به، ويكون مُرضٍ للجميع، ولا يُتنازع عليه. والوسطية بهذا المعنى، الذي يفيد التوازن والتزام قاعدة، (لا إفراط ولا تفريط) لا تعني الهروب من مواجهة الأمور الصعبة إلى الأمور السهلة، ولا العكس، وليست عدم وضوح الرؤية في مواجهة المشكلات، بل هي تعبير عن خاصية التوازن في جميع الأمور والأماكن: توازن بين الروح والجسد، وبين الدنيا والآخرة، وبين الفرد والمجموع، وبين الثابت والمتغير والقديم والجديد.

أمّا التطرف، فهو (تَفَعَّل) – بتشديد العين – من طرف يطرف طرفاً بالتحريك، وجاء في لسان العرب أن التطرف من الجذر اللغوي (طرف)، حيث ورد في ذلك: "الناحية من النواحي والطائفة من الشيء". "أقيم الصلاة طرفي النهار وزُلُفًا من الليل"؛ يعني الصلوات الخمس فأحد طرفي النهار صلاة الصبح والطرف الآخر فيه صلوات العشي، وهما الظهر والعصر. ويقال: طَرَفَ الرجل حول العسكر وحول القوم، يعني قاتل حول العسكر. وطَرَفُ كل شيء مُنتهاه" (٧٨)، يظهر من ذلك أن التطرف الأخذ بأحد الطرفين والميل لهما، إما الطرف الأدنى أو الأقصى، ويقصد به البعد عن الوسط، وتشترك بعض المفردات مع (التطرف) في المعنى، منها: (التشدد، والتعصب، والمغالاة)، وهذه المفردات تجمع بين طبيعتها البعد عن التوسط في الشيء، والأخذ بخلاف ما عليه الجمهور الغالب في المجتمع.

وفي الاصطلاح يُقصد بالتطرف: الإفراط والغلو والتشدد والتعصب لمعتقد أو رأي فكري، ومحاولة فرضه على الآخر أو الجماعة، "الإفراط والغلو والتشدد والتزمت، سواء في الفكر أو السلوك أو كليهما، ومن ثم فالتطرف هو مجاوزة حد

(٧٨) ابن منظور: مرجع سابق، مادة (طرف)، ص ٢٦٥٧-٢٦٦٠.



الاعتدال مع الإفراط، بمعنى تجاوز الأطر الفكرية أو المعايير السلوكية المقبولة في المجتمع<sup>(٧٩)</sup>، ومن ذلك قد يُفهم أنه محاولة لفرض معتقد أو فكر، أو رأي بعينه، وذلك يكون عبر وسائل تتسم بالعنف والبعد عن التوسط في التعامل مع مثل هذه الأمور، وذلك كله يكون تحت مظلة من التخطيط الجيد لتنفيذه على أكمل وجه. ويُعرّف التطرف من المنظور النفسي والاجتماعي بأنه: "انتهاك للقيم الاجتماعية والسياسية القائمة، ويتدرج هذا الانتهاك من مجرد الخروج عن الفكر والأيدلوجية السائدة، إلى صورة أكثر تجسيدا، كما في أعمال العنف التي تمارسها الجماعات المتطرفة"<sup>(٨٠)</sup>، ينكئ هذا المفهوم على نقطة مهمة في سمات الشخص المتطرف، وهي أنه ينتهك القيم الموجود في المجتمع والتي اتفقت عليها الجماعة من قبل، وأن هذا الانتهاك متنوع، من حيث إنه ليس فقط خروج على عُرف الجماعة الفكري بل يُترجمه إلى أعمال عنف يمارسها ضد الآخرين. من ذلك يتضح أن المتطرف يتبع منهجًا مُغلَقًا في التفكير، وهذا المنهج يتصف بعدم القدرة على قبول معتقدات وأفكار تختلف عن معتقداته أو معتقدات الجماعة المتطرفة التي ينتمي لها. وبذلك يكون المجتمع الذي يعيش فيه هو الوسط وما يفعله من أفكار متطرفة ومختلفة هو طرف المجتمع.

والوسطية والتطرف المعني بها هذا البحث ليست التي تركز إلى الدين فقط، بل تأخذ كل أركان المجتمع سواء دينية أو ثقافية أو مادية، فسيعرض البحث لنقاط فيها وسطية أو تطرف من المنظور الديني، وأخرى من منظور المجتمع والعرف السائد فيه، بيد أن كل شيء وسطي في الحياة البشرية مرده إلى الفطرة السوية، تلك الفطرة التي تدعو إليها الأديان، والتي أرسل الله رسله ليردوا الناس إليها. وسيعتمد البحث على مجموعة متنوعة من القصص الموجهة للأطفال، خاصة في فئة النشء؛ لأنها تتأثر جدًا بما حولها، وتقلده بكل حذافيره، وفيه أيضًا يتثنى للأسرة والمجتمع تغيير وتوجيه وتقويم تلك الانحرافات التي تطرأ على الأطفال.

يعرض البحث في البداية لمجموعة قصصية قُصِدَ منها توجيه الأطفال لما هو صالح ووسطي في المجتمع، من قيم أخلاقية ودينية، تتسم بالتسامح والأخلاق الرفيعة، تلك المجموعة عنوانها (حكايات فردوس وسماحة)<sup>(٨١)</sup>، وبتحليل العنوان يتضح تحميل الكاتب للعنوان دلالات ضمنية مقصودة، اسم فردوس الذي يدل على الطفلة ذات الشخصية المحورية في العمل، واللفظة لها حمولتها التي تدل عليها في معناها المعجمي،

<sup>(٧٩)</sup> أمينة الجندي: التطرف بين الشباب في الجامعات المصرية، مجلة المنار، ع ١٥١، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٦٤٩.

<sup>(٨٠)</sup> عاطف أحمد فؤاد: الحرية والفكر السياسي المصري، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٨٤٨.

<sup>(٨١)</sup> حكايات فردوس وسماحة، سيناريو/ محمد عبد الحافظ ناصف، رسوم/ عبد الرحمن بكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢١م.

## الهوية المصرية الدينية وتجلياتها في قصص الأطفال – قراءة ثقافية...، الصادق الدردير

وفي مقصدها داخل العنوان، لفظة فردوس تدل على الجنة التي وعد الله بها عباده الصالحين، هؤلاء الذين يتبعون القيم والعادات السليمة والصحيحة دينيًا ومجتمعيًا، والذين ينشرون من حولهم السلام، ويأخذون بأيدي الناس إلى الطريق الصحيح، جاء في القرآن الكريم: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا"<sup>(٨٢)</sup>، يرتبط دخول الجنة بمن يعمل صالحًا، وأن الفردوس هي أعلى درجات الجنة، جاء في التفسير: "قَالَ قَتَادَةُ: الْفِرْدَوْسُ رِبْوَةُ الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا وَأَعْلَاهَا وَأَفْضَلُهَا وَأَرْفَعُهَا. وَقَالَ أَبُو أَمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ: الْفِرْدَوْسُ سُرَّةُ الْجَنَّةِ. وَقَالَ كَعْبٌ: لَيْسَ فِي الْجَنَانِ جَنَّةٌ أَعْلَى مِنْ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ، فِيهَا الْأُمُورُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ"<sup>(٨٣)</sup>، وجاء في الحديث: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ صَالِحٍ: حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ عَنْ هَلَالِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أَرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ" قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ"<sup>(٨٤)</sup>، فذلك منزلة لا ينالها إلا الذين يتبعون الطريق المستقيم، الذي يتسم بالصلاح في جميع الأمور، بالإضافة إلى أنهم يسيروا مع رفقاتهم، ويدلون الناس على الطريق المستقيم، ولا يبخلون عليهم في شيء. والاسم الآخر في العنوان سماحة، تلك الشخصية المحورية الأخرى في العمل، وحمولة الكلمة المعجمية تعني الإنسان السامح، المتسامح في المعاملة أي الذي يمتلك أخلاقًا متواضعة، ولا يحمل في قلبه ضغينة أو غلا، بل يحمل في قلبه سكينه وطمأنينة، وحب وخير للناس جميعًا، ويمتثل في ذلك لحديث الرسول (صلى الله عليه وسلم): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عِيَّاشٍ: حَدَّثَنَا أَبُو عَسَانَ، مُحَمَّدُ بْنُ مُطَرِّفٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "رَجِمَ اللَّهُ رَجُلًا، سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى"<sup>(٨٥)</sup>، ارتبطت اللفظة في الحديث بالسماحة في المعاملات، والمعاملات هي الباب الثاني بعد العبادات في الفقه، وبدون المعاملات تضيع العبادات، ففي حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "فُلَانَةٌ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ، وَتَصَدَّقُ، وَتُؤَدِّي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

<sup>(٨٢)</sup> سورة الكهف، آية ١٠٧.

<sup>(٨٣)</sup> أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق/ أحمد

البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط ٢/ ١٩٦٤م، ج ١١/ ١١ ص ٦٨.

<sup>(٨٤)</sup> أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،

دار طوق النجاة – بيروت، لبنان، ٢٠٠١م، ج ٤/ ١٦ ص ١٦.

<sup>(٨٥)</sup> أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، المرجع السابق، ج ٣/ ٥٧ ص ٥٧.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»<sup>(٨٦)</sup>، فإذا كان الإنسان ملتزماً بالتزاماً دقيقاً بالعبادات لكنه يؤدي من حوله في المعاملات فلن يفلح بأفعاله؛ امتثالاً لما ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم). فخلاصة ذلك أن السماح أمر مطلوب فعله ونشره بين الناس جميعاً، بل هو الأساس في المعاملة.

ويستنتج من عرض العنوان واستقرائه وعرض خباياه أن الكاتب اتكأ على مخزونه الثقافي الديني، واستدعى الاسمين من القرآن الكريم والسنة النبوية، وأعطاهما مدلولاً يحمل معناه الذي ورد في التراث الديني، وذلك المعنى المراد من الكاتب أيضاً، والذي سيظهر في تناول وعرض المجموعة القصصية.

تعرض المجموعة القصصية قضايا الوسطية والتطرف من عدة زوايا مختلفة، ويتناول موضوعات وقضايا متقاربة، وتكاد تكون متشابهة؛ لذلك سيختار البحث مجموعة أنموذجية من المجموعة القصصية، والتي من خلالها يستبين هدف وقصد الكاتب. القضية الأولى ترتبط بالسلوكيات الخاطئة المتبعة من قبل بعض الأشخاص تجاه النظافة، ليس نظافة البيت الذي يعيش فيه فقط، بل في المحيط كله الذي يعيش فيه مع باقي الكائنات الحية، يمثل سماحة السلوكيات الخاطئة في ذلك، والتي تعد تطرفاً؛ لأنها تخرج عن المألوف من العادات الصحية، تطلب الأم منه إلقاء القمامة في المكان المخصص لها في الشارع، فيتذمر وتبدأ مع هذا التذمر موجة من السلوكيات المتطرفة المنافية لأداب وعرف المجتمع السوي، يقول: "ولم لا ننتظر حضور حارس العقار يا أمي؟ ... شكراً (نفسه) سأرميه في أي دو!... ولماذا لا أرمي كيس القمامة في الأسانسير، لن يراني أحد! لا، احتمال أن أستعمله كثيراً لقضاء احتياجات أمي... كانت مهمة ثقيلة، فليؤدي البواب واجبه حين يأتي!!"<sup>(٨٧)</sup>، سماحة يظهر عدوانيته للمجتمع الذي يعيش فيه عبر ما يفعله من أساليب للتخلص من كيس القمامة، فالمهم لديه أنها خارج الشقة، ولا يفكر في إزائه للآخرين، ولا لتشويه الأماكن بالفمame الملقاة فيها، ولا بالأمراض الناتجة عنها، هذا شخص لا يفكر إلا في نفسه، ولا يهمه مصلحة الجماعة، وذلك يعد تطرفاً مؤذياً للشخص نفسه؛ لأنه فرد يعيش وينتمي لهذه الجماعة، إن لم يكن

(٨٦) الحديث: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَّاحِدِ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو يَحْيَى مَوْلَى جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فُلَانَةً تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ، وَتَصَدِّقُ، وَتُؤَدِّي جِيرَ أَنْهَا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، قَالُوا: وَقُلَانَةَ تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ، وَتَصَدِّقُ بِأَثْوَارٍ، وَلَا تُؤَدِّي أَحَدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هِيَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ». أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: الأدب المفرد، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان، ١٩٨٩ م، ص ٥٤.

(٨٧) محمد عبد الحافظ ناصف: حكايات فردوس وسماحة، قصة عمارتنا، رسوم/ عبد الرحمن بكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢١ م، ص ٨.

الانتماء فكرياً فهو انتماء للأرض والأسرة المتواجد فيها. ووسط ذلك التطرف تجد كثير من الأناسي يدخل في صراع ضده، ويواجهه ولا يخاف منه، يتسموا هؤلاء بالوسطية الحقّة، التي تحمل على عاتقها إصلاح وتطهير المجتمع من التطرف والفساد وكل ما يؤذي الناس. تبدأ مواجهة حماسة من طفل مثله، يقابله على السلم ويسأله عن المكان الذي قَدِمَ منه، ويدور بينهما هذا الحوار: "كنت أرمي القمامة في صندوق القمامة في أول الشارع. ولكنه بعيد جداً. المشي رياضة يا سماحة!"<sup>(٨٨)</sup>، يهدف الكاتب من خلال تلك المواجهة إبراز وجود شخصيات خيرة مماثلة لعمر شخصية سماحة الممثلة للتطرف، وأن كما يوجد الذي في عمره متطرفاً يوجد الذي ينتهج الوسطية في أقواله وأفعاله، بالإضافة إلى أن المواجهة تبدأ بالتسلسل والمنطقية، حيث لم تبدأ بأوامر من شخص كبير لطفل، بل بين طفلين في عمر واحد.

يستخدم الكاتب شخصيات أخرى؛ ليؤكد تطرف فعل سماحة، هذا عجوزان من الجيران، يجدان كيس القمامة الذي ألقاه سماحة أمام غرفة الحارس، فيصرحان بأن الشخص الذي فعل ذلك مؤذٍ جداً: "إنه شخص مؤذٍ جداً!... شخص ما مؤذٍ رماه أمام حجرة الحارس"<sup>(٨٩)</sup>، هذا تأكيد على فحش الفعل ونبذ المجتمع الصالح له.

ويضرب مثلاً يصحح به عقلية المتلقي أنه واجب على الإنسان التسليم لما هو وسطي، ومساعدة الكبار في إصلاح المعوج والمتطرف في المجتمع، ويظهر ذلك في شخصية والد سماحة، ويخبر العجوزين أنه: "أنا الذي سأرميه يا أمي"<sup>(٩٠)</sup>، وتعود المواجهة مرة أخرى بين الوسطية والتطرف، لكن تعود بدرجة أقوى فيها توجيه وإرشاد، وإصلاح للفكر المعوج، تسأل فردوس أباها عن سبب شروده، وجلوسه بمفرده، فيخبرها عن فعله، فتقول له: "يا خبر، يا خبر!! انزل، خذ وارمه في صندوق القمامة"<sup>(٩١)</sup>، يكتف الكاتب من الوسطية في مواجهة التطرف، فيستجيب سماحة لأخته، وتوجيهها له، ثم يقابل والده، ويرجعان معاً إلى البيت، ويسأله الأب عن سبب فعله، ويحدث بينهم هذا الحوار:

الأب: لماذا رميت القمامة أمام باب البواب المسافر؟  
سماحة: المهم أي رميتها بعيداً عن شقتنا يا أبي.  
الأم: أمام باب البواب جزء من شقتنا، والشارع جزء من عمارتنا.  
الأب: والمدينة جزء من شارعنا ومن عمارتنا وشقتنا<sup>(٩٢)</sup>

<sup>(٨٨)</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: حكايات فردوس وسماحة، قصة عمارتنا، المصدر السابق، ص ٨.

<sup>(٨٩)</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: المصدر السابق، ص ٩.

<sup>(٩٠)</sup> المصدر السابق، الصفحة نفسها.

<sup>(٩١)</sup> نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>(٩٢)</sup> نفسه، ص ٩.

تُسْتَغَلُّ المواجهة لتقديم النصح لسماحة وللمتلقين، بأننا مسئولون عن المجتمع الذي نحيا فيه، ليس فقط شققتنا أو عمارتنا أو شارعنا، بل المدينة كاملة التي نحيا فيها، ومنها المجتمع كله، ويزيد على ذلك أنه جعل فعل حماسة ذنبًا ويجب التكفير عنه، كما أخبر والد سماحة لابنه، وفي نهاية المواجهة يدعن ويُسَلِّم للوسطية، ويقرم بجرم وتطرف فعله، وأنه فهم ذلك ولن يكرره مرة أخرى.

القضية الثانية التي يتناولها لتمثيل الوسطية والتطرف الشخصية العنيدة التي تتمرد على المجتمع الذي تعيش فيه، وذلك عندما: "لا أريد أن أحضر ثانية للكتاب يا طارق... أريد أن أترك كُتَابَ الشَّيْخِ شَحَاتَةَ. وأحفظ على صوت الشيخ الحصري" (٩٣)، يريد مخالفة الجماعة والسير في الطريق بنفسه، ويظن أنه سيصل لرغبته كما تصل الجماعة، لكن لذلك سبب، وهو قول من يمثلون الوسطية: "أنت غاضب لأنه نهرك حين كنت نائمًا... يقول لك أين الصواب والخطأ... لا بد من معلم تحفظ على يديه" (٩٤)، يُصِرُّ سماحة على فعله، ويخبرهم أنه وصل إلى النتيجة المرجوة، وحفظ خمس عشرة آية، فيسمع له والده، فيجد لديه بعض الأخطاء، فينصح ويوجهه بأنه عليه أن يتابع مع الشيخ؛ ليصحح له تلك الأخطاء:

- ما معنى كلمة "جبلًا كثيرًا" يا سماحة؟

- لا أعرف يا أبي.

- غداً تسأل عنها الشيخ شحاتة واطلب منه أن يصحح معك القراءة (٩٥).

يتفهم سماحة كلام والده، ويستجيب له، بل ويؤكد أنه سيتقبل كل شيء من الشيخ في لطفه وفي غضبه.

يبدو أن الكاتب يستخدم في كتاباته القصص الموجهة للأطفال للشخصيات الممتدة، يظهر ذلك في تناوله شخصية الشيخ شحاتة، شيخ الكُتَابِ سواء في القرية أو في المدينة، ذكرها من قبل في قصة السباق (٩٦)، والفرق بين القصتين يقترب من العشرين عامًا. وذلك له دلالة ضمنية في مخزون الكاتب، يمكن ترجيح أن شخصية الشيخ شحاتة شخصية حقيقة في حياة الكاتب، وأثرت فيه تأثيرًا جعله يستدعيها في أكثر من عمل، بل ومع امتداد الفترات بين تلك الأعمال، وهو استخدام للاوعي الموجود في مخزونه العقلي.

(٩٣) محمد عبد الحافظ ناصف: حكايات فردوس وسماحة، قصة كُتَابِ الشَّيْخِ شَحَاتَةَ، المصدر السابق، ١٠.

(٩٤) محمد عبد الحافظ ناصف: المصدر السابق، ص ١٠.

(٩٥) المصدر السابق، ص ١١.

(٩٦) محمد عبد الحافظ ناصف: قصة السباق، ضمن المجموعة القصصية حارة الموناليزا، مجلة قطر الندى، ع ٥٦، فبراير ٢٠٠٢م، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص ٣١.

ومن الأشياء التي اتكأ الكاتب عليها ضمناً ولم يصرح بها، وتناولها خلال عرضه لقضيته هي الحوارية البناءة المتبعة في المواجهة بين الأسرة وسماحة، أو بالأحرى بين الوسطية والتطرف، إذا أردت الذي تحاوره يتبع الوسطية، فعليك إيصاله وتقديم ذلك له بالتدرج، وليس مباشرة بالجبر والكرهية، ظهر ذلك في إعطاء الأسرة لحماسة وقتاً ومن ثم عاودوا مناقشته ومواجهته، وبنوا النتائج والتوجيهات على مقدمات سليمة، ولذا أذعن سماحة لتوجيهاتهم وتقبلها بصدر رحب، ومال ناحية الوسطية وابتعد عن التطرف وسلوكياته.

القضية الثالثة المتناولة ضمن حكايات فردوس وسماحة العفو عن الخطأ والنسيان، تنسى فردوس قميص أخيها سماحة الذي سيلعب به في مسابقة كرة القدم، فيغضب منها، ويظهر عدم مسامحته لها، بل ويحملها خسارة فريقه؛ لأنه لم يلعب لنسيانها القميص، ويعلن مخاصمته والابتعاد عنها، ويزيد على ذلك أنه لا يمشي معها، ولا يجلس بجوارها:

**سماحة: هيا أعطني القميص الأحمر بسرعة لكي نلعب المباراة.**

**فردوس: أسفة، لقد نسيتته يا سماحة.**

**سماحة: كيف ألعب مباراة اليوم؟**

**فردوس: تعالي اجلس بجواري.**

**سماحة: لن أجلس بجوارك ولن أسامحك أبداً. لقد هزمتنا بسببها لأنني لم ألعب المباراة!!<sup>(٩٧)</sup>**

يوضح الكاتب أن فعل سماحة ومخاصمته لها منبوذ في المجتمع، "ماذا يقول الزملاء وأخي يجلس بعيداً عني؟"<sup>(٩٨)</sup>، هذا أول خيط في المواجهة بين الوسطية والتطرف؛ فالتطرف منبوذ في المجتمع وغير مقبول، ويلاحظه الناس جيداً، وينفرون منه. وتتعضد المواجهة بتدخل الأب والأم في مسار الأحداث، تجتمع فردوس مع والديها في البيت، وتشاهد معهما التلفاز، الذي يبث برامج عن حدث الهجرة، والدروس المستفادة منها، وكيف تكون هجرة المسلمين بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فيخبرها ويبسط لها والدها أننا الآن نهاجر أيضاً مثل المسلمين القدامى الذين هاجروا، لكن تختلف الهجرة من مكانية للأرض إلى هجرة من الأفعال المنبوذة والمشينة إلى الأخلاق والمثل العليا التي فُطر عليها الإنسان منذ بدء الخليقة.

ويتخذ الكاتب من برنامج تلفزيوني مفتاحاً للربط بين الحديث عن الهجرة وفعل سماحة مع أخته فردوس، يتكلم الشيخ في التلفاز عن الدروس المستفادة من الهجرة،

<sup>٩٧</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: حكايات فردوس وسماحة، قصة هجرة الذنوب، المصدر السابق،

ص ١٢.

<sup>٩٨</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: المصدر السابق، ص ١٢.

ومنها التسامح، ويذكر واقعة مطاردة سراقاة لرسول الله في أثناء الهجرة<sup>(٩٩)</sup>، وكيف تسامح معه الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتركه ينصرف، ولم يؤذه، فتبدأ فردوس بسرد مخاصمة سماحة لها بسبب خطأ بسيط، فيخبرها والدها بأنه سيسامحها: "سيسامحك يا فردوس وسيهجر عادته السيئة"<sup>(١٠٠)</sup>، ويستمع سماحة لهذا الحديث عن التسامح، وكلام أسرته، فيعلن هجره للسلوكيات السيئة، ويسامح الجميع، ويعتذر لأخته: "يجب أن أهجر عادتي السيئة وأن أكون متسامحاً. سامحك وأعتذر أنني أبكيتك قا فردوس"<sup>(١٠١)</sup>، وبذلك تنتهي المواجهة لصالح الوسطية ونبذ الخلق المتطرف الذميم، بل ويزيد على ذلك اعتذار سماحة عن أفعاله السيئة تجاه أخته.

جاء عنوان القصة الذي يتناول موضوع التسامح بهجرة الذنوب، وهو عنوان متسق مع الموضوع المتناول، حيث اتخذ الكاتب ضمناً حدث الهجرة من مكة إلى المدينة جسراً يربط به بين موضوع القصة وحدث الهجرة، بالإضافة إلى اتخاذه الهجرة مدخلاً ليصحح من خلاله المفاهيم الخاطئة والمتطرفة التي يرتكبها كثير من الناس في الأونة الأخيرة، ومثلهم في القصة الطفل حماساً.

وأظهر الكاتب اختلاف ذلك اليوم والاحتفال به، سواء في التلفاز أو في أرض الواقع، التلفاز يبث برامج موضوعها حدث الهجرة والدروس المستفادة منها، ويظهر ذلك في بداية القصة، عندما يشاهد الأب والأم برنامجاً دينياً يتحدث عن حفظة كتاب الله، وتتعجب الأم من مقدرة الناطقين بغير اللغة العربية على حفظ وإتقان القرآن الكريم، "وعد الله أن يحفظ قرآنه الكريم يا فوزية"<sup>(١٠٢)</sup>، ويستند الكاتب على مخزونه التراثي الثقافي الديني، خاصة القرآن الكريم، "إِنَّا نَحْنُ نُزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"<sup>(١٠٣)</sup>، والشيء الآخر حديث الدعاة في التلفاز عن حدث الهجرة، والدروس المستفادة منه. وتستمر قضية التسامح، والابتعاد عن المخاصمة في أكثر من قصة، ومعها يستمر سماحة ويخاصم صديقه وجاره طارق، ويربط الكاتب القصة ببداية السنة

<sup>(٩٩)</sup> حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ: حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَى الْمَدِينَةِ تَبِعَهُ سَرِاقَةٌ بِنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ، فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَسَاحَتْ بِهِ فَرَسُهُ، قَالَ: ادْعُ اللَّهَ لِي وَلَا أَضْرُكَ، فَدَعَا لَهُ، قَالَ: فَعَطَشَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَمَرَّ بِرَاعٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَأَخَذْتُ قَدْحًا فَحَلَبْتُ فِيهِ كُنْبَةً مِنْ لَبْنٍ، فَأَتَيْتُهُ فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيَْتُ. أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبَخَارِيُّ: صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ، مرجع سابق، ج ٥/ص ٦١.

<sup>(١٠٠)</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: حكايات فردوس وسماحة، قصة هجرة الذنوب، المصدر السابق، ص ١٣.

<sup>(١٠١)</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: المصدر السابق، ص ١٣.

<sup>(١٠٢)</sup> المصدر السابق، ص ١٢.

<sup>(١٠٣)</sup> سورة الحجر، آية ٩.

الهجرية الجديدة، ويذكر فيها العادات التي تدل على الألفة بين الجيران، حيث توزيع الحلوى والهدايا؛ لنشر الود والوئام بينهم، "أحب دائماً إعادة ترتيب الشقة في بداية العام الجديد. استعد يا سماحة لتوزيع حلوى ماما الشهية على الجيران"<sup>(١٠٤)</sup>، يتكئ الكاتب ضمناً على مخزونه التراثي الثقافي الشعبي، ويتذكر ما يحدث بين الجيران، وتواصلهم فيما بينهم، ونوادهم وتراحمهم، وهذا مدخل للوسطية، ويلحقها التطرف سريعاً في قول وفعل سماحة، وأنه لن يعطي الحلوى لطارق؛ لأنه يخاصمه "الآن بها صديقي طارق الذي أخاصمه منذ يومين"<sup>(١٠٥)</sup>، لكن تواجهه أخته فردوس، وتوضح له أننا لا يجب علينا المخاصمة فوق ثلاثة أيام، ويتكئ الكاتب على مخزونه الديني، في الحديث الشريف لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، لكن سماحة يُصرُّ على موقفه المتطرف، ويأتي الكاتب بخيط جديد يشد به أزر الوسطية، يتدخل طارق في مجريات القصة، ويسبق إلى المصالحة، وطلب العفو من سماحة، ويهتئ بالعام الجديد، "كل عام وأنت طيب يا صديقي. لكنك سبقتنا بالخير يا طارق. وخيركم من يبدأ بالسلام. فيعرض هذا ويعرض هذا"<sup>(١٠٦)</sup>، ويستدل الكاتب بحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، في خيرية من يبدأ بالسلام. واتخذ الكاتب من الحديث باباً للحوار من أجل المسامحة ونسيان المخاصمة بين طارق وسماحة.

من الأمور الضمنية المتناولة إلى جانب قضية المخاصمة الخيرية والبر بين الجيران، وانتشار المودة والقربى، وتلك وسطية ضمنية تنغرس مع القضايا الأخرى المعروضة، ومنه معاملة الجد حمزة والجددة ثريا، جيران أسرة سماحة وفردوس، "يسعد دائماً من له جيران مثلكم. حقاً حقاً، لقد عوضنا الله عن فقداننا بكم يا أبنائي"<sup>(١٠٧)</sup>، إلى جانب اعتماد الكاتب على الثقافة الشعبية المصرية في عادات ترتيب وتنظيم البيت في كل عيد، وتوزيع الطعام والشراب والحلوى على الجيران.

القضية الرابعة المتناولة لإبراز الوسطية والتطرف عدم الإسراف في الأكل والشرب إلى جانب قضايا أخرى، يعرضها الكاتب من خلال مظاهر الاحتفال بالعيد، تبدأ الوسطية أولاً في تقديم التهنية بيوم العيد، وصلة الرحم بين الأقارب، ونشر الفرحة بين الناس، يقول: "عيد سعيد يا زوجتي العزيزة. كل عام وأنت والأمة الإسلامية بخير"<sup>(١٠٨)</sup>، وتجهيز العيديات لتوزيعها على الأطفال الموجودين في أسرتنا وأطفال

<sup>(١٠٤)</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: حكايات فردوس وسماحة، قصة سنة سعيدة، المصدر السابق،

ص ٤١.

<sup>(١٠٥)</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: المصدر السابق، ص ١٥.

<sup>(١٠٦)</sup> المصدر السابق، ص ١.

<sup>(١٠٧)</sup> نفسه، ص ١.

<sup>(١٠٨)</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: حكايات فردوس وسماحة، قصة العيد والطعام، المصدر

السابق، ص ١٨.



معارفنا؛ ليعم السرور والفرح لدى الكبير والصغير، "الحمد لله، جهزت عيدية الأولاد في العمارة. ولا تنس مايكل وأخته"<sup>(١٠٩)</sup>، واشترك أبناء الوطن الواحد (مسلمون ومسيحيون) في الاحتفال بالعيد، وإدخال السرور على الجميع، يعرض الكاتب للقضية الرئيسية وهي الأكل بحسب ما يكفي الإنسان، لا يملأ بطنه إلى آخره، "نأكل قليلاً لأن المعدة ما زالت معتادة الصيام. فعلاً يا أمي، ولا ننس الحديث الشريف"<sup>(١١٠)</sup>، تنبه الأم ابنها من الإفراط في تناول الطعام والشراب، وتنبهه أن ذلك يخالف أوامر الحديث الشريف، بالإضافة إلى أن الإفراط في الطعام يؤدي إلى مشاكل كثيرة في المعدة، ويعتمد الكاتب في كلامه السابق اعتماداً كلياً على المخزون الثقافي الديني، في تناوله استشهاده بحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الطعام.

القضية الخامسة التي يُعرض من خلالها ثنائية الوسطية والتطرف قضية عصرية، ذاع صيتها في العالم كله، خاصة المجتمعات التي تهتم بالعلم وتوليه مكانة جيدة، وليظهر ذلك بصورة متميزة يقبلها المتلقي، دمج الكاتب شخصية جديدة على شخصيات القصة، شخصية الإنسان الآلي، الذي تعددت استخداماته مع التقدم التكنولوجي، وتأتي شخصيته التي يمثلها في القصة شخصية المساعد في البيت، القائم بالأعمال المنزلية إلى جانب الأم، وتبرز الوسطية أولاً في تفكير الأب وإرادته "أتمنى أن يساعد الروبوت أم فردوس في عمل البيت المرهق"<sup>(١١١)</sup>، يرتكز الكاتب ضمناً على الشراكة الأسرية، سواء الحوارية الموجودة بين أفراد الأسرة، أو مشاركة الزوج زوجته في الأشياء الخاصة بالأسرة، والعمل على راحتها، وهذه النقطة تعد وسطية؛ لما انتشر في الأونة الأخيرة من مشكلات أسرية، وتشوه المعنى الحقيقي للأسرة، فكل فرد من أفراد الأسرة أصبح يسير في مسار منفصل عن الآخر، ويلفت الكاتب النظر لذلك ضمناً، وهو تأثير اجتماعي على الكاتب مما يراه ويسمعه ممن حوله أو عنهم من مشكلات أسرية أو تشتتات أسرية متعددة. لا ينفك الكاتب كثيراً حتى يأتي التطرف سريعاً في قول سماحة: "يشبه صديقي طارق. يا سلام لو الروبوت يحل لي واجب الرياضيات. وأحصل على الدرجة النهائية وأغبط طارق وماركو"<sup>(١١٢)</sup>، النقطة الأولى في تطرف سماحة تتمره من صديقه طارق، وهو يشبه الروبوت به، ويفعل ذلك مع الضحك؛ ليدلل على الاستهزاء منه تجاه صديقه طارق، وهذا فعل منبوذ في المجتمع، وغير محبب، ونلاحظ أن الكاتب التجأ إلى ذلك نتيجة رصيد المخزن في عقله للعديد من

<sup>(١٠٩)</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: المصدر السابق، ص ١٨.

<sup>(١١٠)</sup> المصدر السابق، ص ١٨.

<sup>(١١١)</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: حكايات فردوس وسماحة، قصة في بيتنا إنسان آلي "روبوت"،

المصدر السابق، ص ٢٠.

<sup>(١١٢)</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: حكايات فردوس وسماحة، قصة في بيتنا إنسان آلي "روبوت"،

المصدر السابق، ص ٢١.

قصص وحوادث التمر التي تحدث من حوله سواء بين الأطفال أو الكبار. النقطة الأخرى في تطرف سماحة هي إرادته أن يساعده الروبوت في واجباته الدراسية؛ ليتفوق على أصدقائه، ويعني الكاتب منها قضية الاتكال على الآخرين، والوصول إلى نتائج سريعة من دون تعب أو اجتهاد، وهذا منبوذ في المجتمع؛ لأن سالك هذا الطريق تنعدم منه الخبرة والممارسة، وسيضر نفسه والآخرين في المستقبل؛ بتوليه مسئولية في وظيفة أو في عمل يخدم الآخرين، وتأتي مواجهة التطرف سريعاً من قبل الوسطية، المتمثلة في فردوس، "الواجب يجب أن تحله أنت يا سماحة وليس الروبوت"<sup>(١١٣)</sup>، تنبه عليه أن لكل فرد وظيفة منوطة به، ويجب عليه القيام بها، وعدم الاتكال على الآخرين فيها.

يؤثر المخزون الثقافي الشعبي في ذاكرة الكاتب، حين يذكر: "الطعام نفس، كما تقولون في مصر"<sup>(١١٤)</sup>، يرتبط في الثقافة الشعبية المصرية أن إعداد الطعام نفس، وترتبط لذة الطعام قلة أو كثرة بنفس من يطبخه، ولذلك أثر ذلك في مخزون الكاتب، واستدعاه في هذا النص.

ويُنهي الكاتب قضيته المتناولة بإقرار أن مخلوقات الله لا يضاهيها أي اختراع أو صناعة بشرية، مهما تطورت وتقدمت. وتلك الرسالة المتضمنة فيما بين السطور، والتي قصد الكاتب أن يبثها ضمناً في ثنايا قضيته، ويأتي نتيجة للمحاولات العديدة من قِبل الدول المتقدمة، والتي تعمل على تطوير بعض الأناسي الآلية "الروبوتات" لتضاهي بها الإنسان، أو تستغني عنه في العديد من الأعمال التي تقوم على الإنسان في الأساس، وبعض الدول الأخرى التي تعمل على تطوير الجينات في بعض الحيوانات ليضاهي الإنسان أو يفوقه ذكاء أو براعة، وذلك منافٍ لما جاء في الشرائع السماوية، من تكريم الإنسان، وحسن خلقه، وأفضليته على سائر المخلوقات، وفي الوقت نفسه لا يهدم فكرة البحث العلمي والعمل على تطويره، فالعلم وبحوثه من الأساسيات التي تنشئ الأجيال على الطريق السوي الصالح.

من القضايا التي أثارها الكاتب في حكايات فردوس وسماحة أنه لم يغفل التنوع في شخصياته، وضم الجميع تحت سقف وطن واحد، وأفرد قصة كاملة لتوضيح ذلك، زيادة على ذكره في ثنايا قصصه من البداية للنهاية، ويتناول في تقديمه لثنائية الوسطية والتطرف علاقة سماحة مع صديقه ماركو. يبدأ الكاتب في عرض التطرف أولاً، ويظهر في رفض سماحة لأسف ماركو، ورفضه مصافحته: "وأنا غير متقبل لأسفك يا ماركو. لماذا رفضت مصافحة ماركو يا سماحة؟"<sup>(١١٥)</sup>، يعرض الكاتب للحق والغضب الشديد الذي يأتي نتيجة أخطاء الآخرين، في حين أنهم لا يقصدون، بل ويقدمون الاعتذار على

<sup>(١١٣)</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: المصدر السابق، ص ٢١.

<sup>(١١٤)</sup> المصدر السابق، ٢١.

<sup>(١١٥)</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: حكايات فردوس وسماحة، قصة المباراة، المصدر السابق،

ما بدر منهم، وعدم تقبل الاعتذار يعد تطرفًا؛ لأنك إذا غضبت من كل فعل وقاطعت الآخرين وخاصمتهم، لن تجد أحدًا تعيش معه، وتعيش في الحياة منفردًا، والحياة قائمة على المشاركة. ونأتي مواجهة التطرف الكبيرة، فالوسطية تمثلت في الشخصيات الأخرى المشاركة في العمل، وتظهر في محاولات ماركو وأخته تقديم الاعتذار مرة أخرى لسماحة، بالإضافة إلى دور الوالدين سواء والدي سماحة وفردوس أو والدي ماركو ومريم، فهم يعززون الوسطية، ويدعمون الأولاد، يدعمون سماحة ويوضحون له أن ماركو لا يقصد ذلك، وعليه أن يسامحه؛ فهو صديقه، ووالدي ماركو ومريم يدعمون أولادهم بتوجيههم للذهاب إلى سماحة في بيته وتقديم الاعتذار المباشر له. والد ماركو: تذهب مباشرة لكي تظمن عليه. ستجد في البيت من يرحب بك ويقدر فعلك ويلومه أيضًا.

مريم: لا تقلق، فردوس أخته سوف تساعدنا.

والد سماحة: ماركو يحبك ولا يقصد الإيذاء.<sup>(١١٦)</sup>

اجتمعت شخصيات العمل على الوسطية، ودعمهم لها، وعدم نبذ صاحب الخلق المتطرف، وهذا يحسب للكاتب ما يريده ضمنيًا؛ فالوسطية ومن يمثلونها يشملون الجميع بعطفهم، ومحبتهم للخير والجمال. وصاحب الفكر المتطرف عندما يجد ذلك أمامه، وأن كل من حوله يريدونه معهم في طريقهم، ويشملونه بمحبتهم رغم تعصبه وتطرفه سيرسخ لهم، ويقبل أن يتخلى عن أفكاره ويسير معهم. وذلك الذي فعله سماحة، تقبل الاعتذار وسامح ماركو، وبدأ المزاح بينهما في جو مليء بالحب والحميمية.

يركن الكاتب إلى مخزونه الثقافي الديني، ويظهر جليًا في قول مريم: "عفا الله عما سلف يا سماحة؟"<sup>(١١٧)</sup>، ويرتكز في ذلك على القرآن الكريم "عفا الله عما سلف"<sup>(١١٨)</sup>، ويبدو من ذلك أن المخزون الثقافي الديني استحوذ على مساحة كبيرة من إنتاج الكاتب؛ فهو يبيث ذلك بصورة دورية في العديد من قصصه، بل تكاد كل قصصه لا تخلو من الاتكاء على المخزون الثقافي الديني أو الشعبي.

جاءت حكايات سماحة وفردوس معبرة عن الواقع الذي يعيشه الأطفال، بل والكبار ويؤثرون في مجتمعهم، وساعدت فردوس والأسرة والأصدقاء سماحة في التخلص من بعض أفكاره غير الصحيحة، والتأكيد على المحبة، وقبول الآخر، والتسامح، ونبذ العنف، والوعي بتحديات الوطن، ومن القيم التي أكدت الحكايات عليها:

- الحرص على نظافة البيت والمجتمع كله.
- الابتعاد عن العناد، واحترام رأي الكبير، ونصحهم لنا.

<sup>(١١٦)</sup> محمد عبد الحافظ ناصف: المصدر السابق، ص ٣١.

<sup>(١١٧)</sup> المصدر السابق، ص ٣١.

<sup>(١١٨)</sup> سورة المائدة، آية ٩٥.

- التسامح ونشر الحب بين الناس.
- احترام الجيران، والتواصل معهم بالبر والإحسان.
- الالتزام بالمواعيد واحترامها.
- تجنب الإسراف في الطعام والشراب، وتناول ما هو صحي.
- الاعتماد على النفس في قضاء واجباتنا الخاصة.
- تجنب التتمر على الآخرين، والعيش في مجتمع يملأه حب الخير والجمال والوسطية.

وهدفنا أيضًا إلى تنمية مهارات الأطفال اللغوية، والمعرفية، والإبداعية، وتقديم معلومات معرفية وثقافية ودينية تسهم في تكوين شخصيتهم، وتحصنهم ضد الأفكار المتطرفة والمنحرفة.

يتناول البحث نموذجًا آخر يعبر عن ثنائية الوسطية والتطرف برؤية مختلفة عن لمجموعة القصصية السابقة؛ حيث طغى المخزون الثقافي الديني في المجموعة القصصية، وكثر استعمال الكاتب له. هذا النموذج أيضًا مجموعة قصصية بعنوان مغامرات فلفلة، تلك الطفلة التي تمثل العديد من القيم الإيجابية في المجتمع، وتمثل الوسطية التي تدحض التطرف، بل وتساعد من حولها للتخلص منه. تبرز الوسطية في معاملة والدي فلفلة لها، وإشراكها في الاختيارات التي تخص حياتها، وبوجهها نحو الأهداف النافعة لها في حياتها، ويظهر عندما جاء إعلان المدرسة عن رحلة إلى مدينتي الأقصر وأسوان، وجلست فلفلة مع والديها؛ لتطلب منهما الإذن بالذهاب في الرحلة، أخذ الكلام بينهم صورة حوارية فيها مبادلة للآراء، واصطبغ بصبغة الاحترام بين الأولاد وآبائهم:

**فلفلة:** لقد أعلنت المدرسة عن قيامها برحلة إلى مدينة الأقصر وأسوان، وأود أن أستاذنكما في الذهاب، فأنا أود بشدة أن أرى آثارنا الجميلة هناك.  
**الوالد:** سوف نسمح لك بالذهاب، ولكن بشرط أن تكوني دائمًا مع مجموعة من صديقاتك وبالقرب من المشرفة.<sup>(١١٩)</sup>

أظهر الكاتب لهفة فلفلة في الذهاب، إلى جانب لغة الاحترام التي سادت الطلب، يظهر من خلال الكلمات التي اختارها من المعجم، استخدم كلمة أود، والود يدل على الميل تجاه شيء محبب والرغبة فيه، ومحبة الشيء وتمنى كونه، والتمنى يتضمن معنى الود؛ لأن التمني هو تشهّي حصول ما تودّه. وأضاف تعليلاً لطلبها، وهو رؤية الآثار الجميلة، فلم يكن طلبها للرحلة من أجل الذهاب مع الأصدقاء والزملاء أو اللعب والمرح، غير أن هذا محبب ومطلوب للأطفال، بل جاء طلبها للتعرف على عالم جديد، وأماكن جديدة تُعزز من هويتها، وانتمائها لوطنها. هذا من جانب الطفلة فلفلة، أمّا عن

<sup>(١١٩)</sup> حسام فاروق: قصة آثارنا الجميلة من كتاب مغامرات فلفلة، رسوم رغدة أسامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢١م، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص٦٠.

والديها وإجابتهن لها فلم تأت بالموافقة المطلقة التي يتخلص فيها الآباء من طلبات أولادهم، لكن صدر القرار بالموافقة المستقبلية وليس الأنئية، وذلك يدل على الموافقة المبدئية على الرحلة، مع وجود بعض التوصيات التي يجب العمل بها من قبل فلفلة، ومن ثم تأتي الموافقة المطلقة.

تتضمن المجموعة القصصية مغامرات فلفلة أمراً يسير من القصة الأولى إلى القصة الأخيرة، ولم يصرح الكاتب به، وذلك نتيجة لاستخدامه لعقله اللاواعي، الذي يتأثر بالمخزون المتواجد في عقل الكاتب، حيث تناوله لصورة المرأة في مجموعته<sup>(١٢٠)</sup>، فدم المرأة بصورتها الوسطية التي لا مغلاة فيها، ولا يوجد فيها ميل لأحد التيارات ضد الآخر، وقصد ذلك في عرضه للباس المرأة في الصور المعبرة عن القصص، تناول صورة الفتيات الصغيرات اللاتي يذهبن إلى المدرسة، وخروجهن بشعرهن بالإضافة إلى التزامهن بالزي المدرسي، تلك الصورة التي تظهر في المجتمع المصري في كل صباح، وينتج عنها الفكر المنتشر والمعبر عن هوية المصريين، والوسطية الموجودة عند الأسرة المصرية سواء المسلمة أو المسيحية.

يتناول صورة المرأة داخل البيت، فلم يغال في جعلها ترتدي الحجاب، لكن قدم صورتها بالحال الحقيقي الميثوث داخل مجتمعنا، غير أنها عند الخروج من البيت، والاختلاط بالناس في الشارع، فإنها ترتدي الحجاب.

وكذلك لم يعتمد صورة واحدة للمرأة سواء داخل البيت أو خارجه، بل قدم صوراً مختلفة ومتعددة للمرأة؛ وذلك ليدل على التنوع الموجود داخل المجتمع المصري، وتأكيد على سيطرة فكر واحد على المجتمع المصري، وتجاوز التيارات الفكرية، وتقبلها للآخر، مع عدم التعدي على الآخرين سواء فكرياً أو مادياً.

وتتجلى صورة أخرى من صور الوسطية في اختيار شخصية من شخصيات أصحاب الهمم، ويتم بثها في أكثر من عمل قصصي موجه إلى الأطفال، من تلك القصص: قصة رحلة فضائية، وقصة رمضان كريم، للكاتب أحمد زحام، ويتناول فيهما شخصية الطفل ذاكر، ذلك الطفل القعيد الذي يتحرك بكرسي خاص، غير أن دوره في العمل القصصي أساسي، بل تدور أحداث قصة رحلة فضائية كونه شخصية أساسية فيها، بالإضافة إلى دمجها في المجتمع، واشتراكه في اتخاذ الاختيارات، وإعطاء النصائح السديدة لإخوته.

يأتي إعلان عن احتياج وكالة الفضاء لمتطوع؛ ليسافر في أول رحلة لكوكب المريخ، يتناقش ذاكر مع أمه، ويعرض عليها الأمر، وتشارك معهم أخته شهيرة في توضيح بعض المعلومات عن التقدم العلمي، الذي جعل السفر إلى الفضاء شيئاً سهلاً،

<sup>(١٢٠)</sup> حسام فاروق: قصة آثارنا الجميلة من كتاب مغامرات فلفلة، المصدر السابق، ص ٨ / ١١ /

## الهوية المصرية الدينية وتجلياتها في قصص الأطفال – قراءة ثقافية...، الصادق الدردير

توافق الأم على الرحلة، ويتقدم ذاكر وتأتيه الموافقة:  
ذاكر: أريد التقدم بطلب للالتحاق بأول رحلة، ومطلوب موافقتك..

شهيره: ذاكر، تم قبول طلبك! أرسلوا لك الموافقة على الواتس، وحددوا ميعاد المقابلة  
الخميس القادم.<sup>(١٢١)</sup>

ومنها تبدأ مساعدة إخوة ذاكر له، ثمَّه أخته بالكتب والمعلومات عن كوكب المريخ، وتشجعه على ذلك، أمَّا عن أخيه يجمع له الطعام والشراب الذي يمكن أن يأخذه معه، حسب ما ورد في عقله.

ومن علامتا الدمج الأخرى مشاركة الطفل ذاكر، تطلب منه أخته شهيرة أن يساعدها في الأعمال التي تقوم بها، وكذلك الأم تُشركه في الأعمال التي تقوم بها في البيت، وتتركه يساعدها، ويقوم بفتح الباب. وعندما يجتمع الأطفال في الشارع، يبدأون في تزيين الشارع، فيولون لذاكر مهمة التخطيط، وتوزيع الأدوار عليهم، وتلك وظيفة مناسبة له، فيقوم بها على أكمل وجه، ويوظف كل طفل في مكانه المناسب.  
شهيره: تعال يا ذاكر ساعدني!

ذاكر: فقط علينا أن نفكر من أين نبدأ وأين ننتهي.. اتركوا هذا الأمر لي.<sup>(١٢٢)</sup>

يتضح اعتماد الكاتب في تقديم صورة الأطفال أصحاب الهمم أنهم جزء مهم من المجتمع، ويجب دمجه والابتعاد عن تهميشه. والكاتب في تقديم تلك الصورة اعتمد على الواقع المعيش، فهو يكتب من خلال الواقع من حوله، ونتيجة لمشاركاته للأطفال ومعاصرته لواقع أصحاب الهمم ومعاناتهم في التعايش داخل المجتمع. ومما يظهر الواقعية في القصة قوله: "أنا سأشارك في الدورات الرمضانية التي تقيمها وزارة الثقافة.. من قراءة وفنون ومسرح العرائس..."<sup>(١٢٣)</sup>، هذا توجيه صريح منه للمتلقى، واعتماد جلي على الواقع المعيش.

واعتمد الكاتب في تقديم بعض القيم التربوية إلى جانب صورة الطفل القعيد ودمجه في المجتمع، اهتم بقيمة التعاون وثمرته التي تأتي نتيجة له، وتعاون الإخوة فيما بينهم في مساعدة ذاكر، والتعاون داخل البيت في استقبال شهر رمضان، وتعاون أطفال الحي في تزيين الحي بالزينة؛ لاستقبال شهر رمضان. والقيمة الأخرى التي اعتمد عليها

<sup>(١٢١)</sup> أحمد زحام: رحلة فضائية، رسوم/ رشا منير، تلوين/ تامر شاهين، مجلة قطر الندى، ع

٦٦٨/ مارس ٢٠٢١م، ص ٢٢-٢٣.

<sup>(١٢٢)</sup> أحمد زحام: قصة رمضان كريم، رسوم/ رشا منير، تلوين/ تامر شاهين، مجلة قطر الندى،

ع ٦٤٧/ مايو ٢٠٢٠م، ص ٢١ - ٢٢.

<sup>(١٢٣)</sup> أحمد زحام: قصة رمضان كريم: المصدر السابق، ص ٢٢.

هي إعطاء الأطفال فرصة ومساحة لممارسة طقوس استقبال شهر رمضان، والتعرف على الشهر الكريم، وإرشادهم إلى الأفعال الصحيحة التي يمكن أن يفعلوها؛ لينتفعوا بهذا الشهر الكريم.

وتعرض العديد من كُتَّاب قصص الأطفال لشخصية أصحاب الهمم، في قصة أخرى عرضت صورة أصحاب الهمم بشكل فيه غثراء أكثر من القصة السابقة، وقدمتها أنموذجاً ومثلاً يُحتذى به من قبل الأطفال الآخرين، قصة من يأخذ الشيكولاتة؟ تعرض قصة الطفلة محاسن، التي لديها إعاقة في رجلها، وتمشي متكئة على عصا خاصة لأصحاب الهمم، تقوم بدور محوري؛ فهي الطفلة القارئة التي لا تأخذها ملاهي الحدائق واللعب مثل الأطفال الآخرين، بالإضافة إلى محبة الأطفال جميعاً لها، وتجمعهم حولها؛ للاستماع إلى قصصها وأغازها التي تحتوي على معلومات مفيدة، تظهر سعادة الأطفال في قولهم: "الجلوس مع محاسن أحسن مرة من اللعب"<sup>(١٢٤)</sup>، يظهر تفضيل الأولاد للجلوس مع محاسن، بدلاً من اللعب، واختيار الكاتب لتلك الجملة، ولهذا الفعل له دلالة القوية، معروف أن الأطفال يحبون اللعب أكثر من أي شيء آخر، ولا يتركونه إلا بصعوبة بالغة، لكن في تلك الصورة التي رسمها الكاتب يتخلى الأطفال عن اللعب ويتجهون صوب محاسن، ويدل ذلك على المكانة الكبيرة التي يوليها للطفلة محاسن بين أصدقائها.

اعتمد الكاتب في القصة على تقديم بعض المعلومات العلمية للأطفال من خلال شخصية الطفلة محاسن، ومن خلال أسلوب آخاذ يسرق لبّ الأطفال، ويجعلهم يستفيدوا مما يسمعون، "أغازك يا محاسن التي تطرحينها علينا صعبة، ولكنها تعطينا كثيراً من المعلومات المفيدة"<sup>(١٢٥)</sup>، إلى جانب ذلك تثيرهم محاسن على إجاباتهم الصحيحة، ويشجع بينهم جو مليء بالمنافسة الشريفة، التي تنشط عقولهم.

ويتكى الكاتب على مخزونه الثقافي اللاواعي، ويبث في القصة بعض الأفكار التي تأتي بسلاسة، ويذكرها الأطفال: "أخبرتني جدتي أن الطيور تلتقط الحصى من الأرض حتى تهضم ما تأكله من حبوب صلبة"<sup>(١٢٦)</sup>، تنبئ هذه الجملة عن خلفية الكاتب ونشأته، حيث تربية الدواجن والماشية تكون في القرى وليس المدن، وبطبيعة الحال يحب الأطفال جدتهم، وتحكي لهم عن أشياء كثيرة عن البيئة التي يعيشون فيها.

اختيار الكاتب لاسم محاسن، تلك الشخصية المحورية له دلالة الضمنية التي تستند على حمولة الاسم المعجمية، محاسن تأتي من الحُسن، الذي ضد المقابح

<sup>(١٢٤)</sup> عبد المجيد الحمزاوي: من يأخذ الشيكولاتة؟ رسوم جورج جمال، مجلة قطر الندى، ع ٦٤٧ / مايو ٢٠٢٠م، ص ٢٨.

<sup>(١٢٥)</sup> عبد المجيد الحمزاوي: من يأخذ الشيكولاتة؟ المصدر السابق، ص ٢٨.

<sup>(١٢٦)</sup> عبد المجيد الحمزاوي: المصدر السابق، ص ٣١.

## الهوية المصرية الدينية وتجلياتها في قصص الأطفال – قراءة ثقافية... الصادق الدردير

والمساوي، وهي مواضع الجمال في الشيء مادية أو معنوية. على الرغم من الإعاقة الموجودة في شخصية الطفلة محاسن يوجد إيجابيات أخرى كثيرة وصفات معنوية ومادية، بل جعلها تتفوق على أصدقائها الذين لا توجد لديهم إعاقة. جعل الكاتب الطفلة محاسن تركز إلى الطاولة مباشرة في بداية القصة، ولم تشارك أصدقائها في اللعب، وذلك ما يناسب طبيعة شخصيتها، وإعاقتها التي تمثلها في القصة، والتي تجعل أمر اللعب والجري بالنسبة لها صعباً جداً عليها. تناولت القصة بعض القيم التربوية إلى جانب القيم العلمية التي قدمتها في صورة معلومات عن الحيوانات، من القيم التربوية التي تناولتها قيمة الحب والاجتماع على ما هو حسن بين الأطفال، واجتماع الأطفال حول القراءة، تلك القيمة التي لا يحبها بعض الأطفال، والمساعدة على نشرها بينهم، القيمة الأخيرة التي تناولتها إحياء ثمرة التعاون بين الأطفال وتنميتها، وذلك ظهر في تشارك الأطفال التفكير في الوصول إلى حل اللغز الذي عرضه محاسن عليهم، بالإضافة إلى مشاركة طفلة أخرى لطعمها مع الأطفال الآخرين.

نموذج قصصي آخر يعرض الوسطية والتطرف بمنظور متشابه قليلاً مع المنظور الواقعي السابق (قصة الطفل القعيد ذاك)، ففي قصة لولو فلاحه شاطرة، تطبق الطفلة ما درسته في الحضانة، ويتجلى من خلاله الوسطية والتطرف، عندما ترجع الطفلة إلى البيت تُسرع نحو جدّها وتخبره، ويجاريها الجدّ في كلامها، ويطلب منها أن تربيته كيف تفعل ذلك، وتتعدى الوسطية في مساعدة الأم لها، وإمدادها بالخضروات والبذور التي ستزرعها، بالإضافة إلى القطن، يأتي ذلك في مشهد تشجيعي رائع من قبل الجد والأُم: "يا للجمال! كيف!..؟! احك لي" (١٢٧)، تلك صورة رائعة لاحتضان الطفل وتوجيهه توجيهاً نحو الصواب، وتحفيزه لإنماء ما بداخله من بذرة صالحة، بدلاً من إهمالها وتدميرها، قصد الكاتب ذلك؛ ليبين الصورة الإيجابية لمعاملة الأسر لأطفالهم. وعلى الجانب الآخر يأتي التطرف من أخيها، عندما تطلب منه المساعدة في الزراعة، فيسخر من فعلها، ويتهكم منها بطريقة محبطة لها:

لولو: تعالوا لتزرعوا معي.. ضع قطعة قطن في كل طبق يا سعيد.

سعيد: ونبللها ببعض الماء، ثم نضع البذور.. زرعت قبل ذلك.

لولو: لا تحرق لي المفاجأة! (١٢٨)

يُلمح الكاتب هنا دون تصريح إلى هؤلاء الناس الذين لا يمدون الناس إلا بالتحبيب وإطفاء شعلة الحماسة الموجودة بداخلهم، فهو لم يقصد فقط سعيد أخو لولو، بل تلك الطائفة التي لديها عدائية نحو سعادة الآخرين، ومع ذلك تجد من يقف بجوارك في

(١٢٧) هجرة الصاوي، مغامرات لولو، رسوم/ رشما منير، تلوين/ تامر شاهين، مجلة قطر الندى،

ع ٦٤٣ / مارس ٢٠٢٠م، ص ٢٠.

(١٢٨) هجرة الصاوي: مغامرات لولو، المصدر السابق، ص ٢١-٢٢.



مواجهة هذه الطائفة المتطرفة، ويرجعك إلى حياض الوسطية مرة أخرى، سواء قبلوا الانضمام إليكم أو لم يقبلوا. ويتمثل ذلك في الجدّ ومساندته لحفيدته لولو، وقوله لسعيد: **"صحيح.. دعها تعيش التجربة يا سعيد.. هيا يا لولو، أنا سوف أساعدك"**<sup>(١٢٩)</sup>، يستند الكاتب على الواقعية، وما يحدث في المجتمع بين الأطفال، بالإضافة إلى المساندة والدعم من قبل الأباء والأجداد، وتنمية مهارات الأطفال، وعلى النقيض عرض صورة المحبطين، الذين يحيون على التهكم والتقليل من أفعال إخوانهم وأصدقائهم من حولهم.

قدّمت القصة قيماً تربوية، منها: المشاركة الأسرية، وأن يخبر الطفل أسرته بما يحدث معه خارج البيت، سواء كان إيجابياً أو سلبياً، وهذا لا يتأتى إلا إذا كانت الأسرة تُشجع على ذلك، وتنمي الأفعال الإيجابية، وتوجههم لترك الأفعال السلبية.

يتطرق البحث لنموذج مكون من مجموعة من الحلقات التي تُنشر دورياً، لكن سيتم تناول قصة واحدة منها؛ التي تعرضت لثنائية الوسطية والتطرف، تقوم القصة على فتاة اسمها ندى، تقوم بدور الوسطية دائماً، ومساعدة من حولها برحابة صدر، وبتوجيه، وذلك مقصود من الكاتب أن يبرز شخصية قريبة من الأطفال، ومماثلة لعمرهم؛ لأنهم يلعبون ويمرحون معاً، وسيكون سهلاً بتّ ما يريده الكاتب من خلال تلك الشخصية.

تبدأ القصة بحزن الطفلة فريدة؛ لأنها ستقضي العيد بعيداً عن أصدقائها، وتزعم بأنها لن تكون سعيدة في العيد **"مش هسوف أصحابي ومش هلعب معاهم.. أنا كده مش هفرح في العيد"**<sup>(١٣٠)</sup>، تَميلُ عبارة الطفلة نحو التطرف؛ وذلك لأنها ربطت السعادة والفرح بشيء معين، ويرمي الكاتب إلى مضمّر مبنوث داخل العبارة، إلى جانب صعوبة إرضاء الأطفال، فهو يعرض نظرتة وتجربته التي يعايشها وتؤثر فيه، النظرة المنتشرة في المجتمع، سواء من الصغار أو الكبار، النظر في اتجاه واحد وترك باقي الاتجاهات، أو النظر إلى السلبية الواحدة وترك الإيجابيات المتعددة الموجودة في المجتمع. أظهر الكاتب مراده من خلال الطفلة التي تركت مباحج العيد كلها، وتركت اجتماعها مع أسرته، وربطت الفرح باللعب مع الأصدقاء.

تختلف المواجهة بين الوسطية والتطرف في هذه القصة، القصص السابقة كان للوالدين دور بارز في المواجهة، بل ومؤثر وإيجابي، إلى جانب التعزيز من بعض الشخصيات الأخرى التي لها تأثير، لكن في هذه القصة لم تكن المواجهة من قبل الوالد قوية، فقط قال: **"معلش يا فريدة هنرجع من السفر بعد شهر وهنشوفهم كل يوم"**<sup>(١٣١)</sup>، لم تحرك هذه العبارة المواجهة بين الوسطية والتطرف، وتلك بُغية الكاتب؛ لأنه يريد أن يكون التأثير وبدء المواجهة مع طرف آخر مختلف. يُبهي الكاتب المواجهة

(١٢٩) هجرة الصاوي: المصدر السابق، ص ٢٢.

(١٣٠) طارق مراد: العيد إحساس، رسوم/ إبراهيم عبد الحافظ عمرو، مجلة قطر الندى ع ٦٤٨ /

١٥ مايو ٢٠٢٠، ص ٤.

(١٣١) طارق مراد: العيد إحساس، المصدر السابق، ص ٤.

سريعاً، وتقبل الطفلة برأي صديقتها، وتتخلى عن رأيها المتطرف، "لأ يا فريدة.. العيد إحساس.. يعني ممكن نفرح ونعيد حتى لو كنا بعيد عن أصحابنا"<sup>(١٣٢)</sup>، هذه القول يحول مجريات الأحداث تماماً، وتبدأ الوسطية تعم على الجميع، واتخذ الكاتب من جملة ( العيد إحساس) جذوة لبدء فاعليات الوسطية، وذلك المضمير يرتبط ارتباطاً وثيقاً بطريقة تناوله وعرضه للمتطرف في الحدث الأول من القصة، ويؤكد أن الأمور لا تؤخذ بمظاهرها، فربما كمن بداخلها انبعاث السرور والسعادة على صاحبها، وعلى من حوله. يذهب الكاتب بعيداً في تناوله للوسطية، وتخطى إحساس الطفلة إلى خارج البيت، وربطها بالأطفال التي تتناسب أعمارهم معها، وتلك عادته في تناول ذلك، حيث تنبرع الطفلة بنفوسها التي جمعتها في الحصلة إلى الجمعية الخيرية؛ لمساعدة أطفال الجمعية، "أنا عاوزة أتبرع بيها.. أنا شفت ناس كثير محتاجين لدواء أو غذاء أو ملابس"<sup>(١٣٣)</sup>، يلقى الضوء على قضية مهمة لها ثقلها على الساحة المجتمعية، وضرورة التقات المجتمع لها، وشملها بالرعاية والاهتمام. هذه الوسطية غير متوقعة من طفلة صغيرة؛ لذلك هذا تأثير واقع على الكاتب من المجتمع الذي يعيش فيه، ودلالة على انشغاله بقضية الأطفال الذين يعيشون في جمعيات خيرية، وملاجئ الأيتام.

تبرز وسطية أخرى في تصرف أطفال الجمعية، وتسجيلهم فيديو شكر لفريدة على مساعدتها لهم، وأنهم سعداء بفعلها: "أنا فرحان أوي بالملابس الجديدة.. وشكراً يا فريدة"<sup>(١٣٤)</sup>، أضاف الكاتب على موضوع القصة موضوعاً آخر، له أهميته، وهو تقديم الشكر لمن يمد يد العون لنا، ولو كان قليلاً، فالشكر يبعث على المحبة والألفة بين الناس، وهنا جعل الطفلة تشعر بأن فعلها له قيمته النافعة والايجابية في المجتمع، بل جعلها تشعر وتحس بالفرح والسعادة التي تبحث عنها.

قَدِّمَت القصة شخصياتها بصورة مختلفة عن القصص السابقة في هذا البحث؛ حيث جاءت الشخصيات مختلفة في الشكل واللباس، لكن ليس كل الشخصيات، إنما الشخصيات المؤثرة في مجريات الأحداث، أو التي تقدّم صورة إيجابية للأراء والمجتمع، شخصية الفتاة ندى صديقة الطفلة فريدة لا تبدو عليها ملامح الطفولة؛ وذلك بسبب شعرها الكثيف الملون، والزينة الكثيرة حول رقبتها وفي يدها، كذلك فريدة تلبس زينة كثيرة، وذلك غريب على الأطفال؛ تحرص الأسر على ترتيب ذلك وتعليمه لبناتهن، وأيضاً في قصة أخرى جاءت صورة الطبيب، وصورة الرجل المخترع<sup>(١٣٥)</sup>، رسمهم بلباس مختلف عن البيئة المصرية، بالإضافة إلى الشعر الكثيف الملون. يأتي ذلك

<sup>(١٣٢)</sup> طارق مراد: العيد إحساس، المصدر السابق، الصفحة نفسها.

<sup>(١٣٣)</sup> طارق مراد: المصدر السابق، ص ٥.

<sup>(١٣٤)</sup> المصدر السابق، الصفحة نفسها.

<sup>(١٣٥)</sup> عبد الهادي شعلان: قصة الرجل العجيب، رسوم/ إبراهيم عبد الحافظ عمرو، مجلة قطر الندى ع ٦٤٣ / مارس ٢٠٢٠م، ص ٤-٧.

كله نتيجة المخزون المترسب في عقلية الكاتب، يبدو أن لديه صورة ترسبت منذ طفولته لصورة البطل أو الشخصية المؤثرة تأثيرًا إيجابيًا في المجتمع، ومن ناحية أخرى، إرادة الكاتب تقديمهم بتلك الصورة ليكسب جذب انتباه المثقفي؛ نتيجة للتكنولوجيا ووسائلها الحديثة والمتعددة، وهو فتح لمجال التخيل عند الأطفال؛ نظرًا لمخيلتهم الواسعة، وحبهم لذلك.

اعتمد الكاتب على تقديم مجموعة من القيم التربوية من خلال قصته، منها: الفرح والسعادة بالعيد، والنظر للجانب المليء بالإيجابيات، مساعدة الآخرين، والإحساس بهم، وخاصة بمن هم في العمر نفسه، والقيمة التي أكدت عليها وتوجت القضية المتناولة قيمة شكر الناس؛ فهو بمثابة ردّ الجميل.

يعرض البحث نموذجًا آخر يختلف عن النماذج السابقة في الفئة العمرية المقدم إليها، مُقَدِّم إلى الأطفال فوق سن العاشرة، ويتناول ثنائية الوسطية والتطرف بالإضافة إلى مزجها بالعديد مع القضايا الأخرى التي تخدمها، إلى جانب تسليط الضوء على ما يدور في المجتمع وخبائمه.

تدور أحداث القصة في قرية بدوية، وذلك معن من بداية القصة والحديث عن شخصياتها، فالشخصية الرئيسية فلاح موسر الحال، يتزوج وتستمر الأحداث حتى تصل إلى الحكبة، ومن ثم تبدأ في الحل شيئًا فشيئًا.

يؤثر مخزون الشاعر القديم، والتعلق ببيئته التي نشأ فيها في كتاباته، يظهر في وصفه لحفل زواج الفلاح في القرية، واستمرار الاحتفال أيامًا وليالي، بالإضافة إلى الطعام والشراب الفاخر، تلك المظاهر توجد في البيئة القروية والبدوية، يدل ذلك على أصول الكاتب وامتداده إلى قرية بدوية، وشدة تعلقه بها، "استمرت الأفراح أيامًا وليالي شاهد فيها الحاضرون عروضًا جميلة في الرقص والفروسية"<sup>(١٣٦)</sup>، يبدأ الكاتب بذكر التطرف في القصة، حينما يسأل العمال والمساعدين الفلاح عن إنجابه طفلاً، على الرغم من مرور سنوات على زواجه لم ينجب، وهو يتخرج جدًا من ذلك، فيعتليه الغم، "إنني يا زوجتي أخرج كثيرًا في الإجابة عن أسئلة عمالي ومساعدتي، لم أعرها أي اهتمام أول الأمر ولم أنشغل بها، لكنها ظلت تلاحقني أني ذهبت حتى صارت لي كظلي"<sup>(١٣٧)</sup>، يُعَدُّ تَدخُل الآخرين في الشؤون الخاصة تطرفًا، وهذه السلبية منتشرة بقوة في مجتمعاتنا، ليس فقط في المجتمعات القروية بل في المجتمعات المدنية أيضًا، وترهق كثيرًا من يوجه له هذا السؤال، وأراد الكاتب إثارة تلك القضية والتأكيد على سلبيتها وتطرفها، ومحاولة التخلص منها قليلًا قليلًا.

يستدعي الكاتب ما يدل على القرية، بل من العلامات القوية المشاعة والمعمول

(١٣٦) الصادق الفريوي: الولد المفقود، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٤.

(١٣٧) الصادق الفريوي: الولد المفقود، المصدر السابق، ص ٥.

## الهوية المصرية الدينية وتجلياتها في قصص الأطفال – قراءة ثقافية... الصادق الدردير

بها إلى وقت قريب (منذ بضعة سنوات)، القابلة أو الداية أو المولدة<sup>(١٣٨)</sup>، ومدلول ذلك اتكاء الكاتب على مخزونه الثقافي القروي، وفرضه لا إرادياً على العمل، فكما استدعى من مخزونه الاحتفال بيوم الزواج، استدعى القابلة وأعطى لها دوراً محورياً يعتمد عليه في العمل، بل دوراً مؤثراً، واستخدم في مكانه الصحيح، وتبرير اختيار القابلة بدلاً من الطبيبة، على الرغم من أن الرجل موسر الحال، ويستطيع طلب حضور طبيبة إلى بيته، لكن الكاتب أثر اختيار شخصية القابلة، لأن الطبيبة ترفض القيام بما ستفعله شخصية القابلة من أحداث أخرى إلى جانب دورها الرئيسي.

يُعرِّض الكاتب لقضية مهمة جداً في مجتمعاتنا، وينسبها للتطرف المجتمعي، وذلك معروف بديهياً لأصحاب العقول، وهي كراهة إنجاب البنات، أو تفضيل إنجاب الذكور على البنات، والعديد من الرجال فاقد العقل ينسبون السبب للمرأة، وذلك يرجع لأمرين: الأول ضعف إيمانهم، وعدم معرفتهم أن ذلك بيد الله وليس بأمر عباده، الآخر أخرج العلم بالأدلة والبراهين المرأة من دائرة الاتهام، وألقى بها في ميدان الرجل، وتلك هي الحقيقة. فمن يتهم المرأة بأنها السبب في إنجاب الذكور أو الإناث يُعدُّ مُتطرفاً، لأنه ابتعد عن الصواب وانحاز ناحية الطرف الذي يبتعد عن الحقيقة الواضحة المبرهن عليها. "قطب الفلاح جبينه وعبس وقد ذهل للخبر الذي سمعه"<sup>(١٣٩)</sup>، أظهر الفلاح حزنه وعدم رضاه بإنجاب البنت، ولاحظ جميع الحضور ذلك، وأحزن زوجته، وذلك تطرفاً أكثر في عدم الوقوف بجوار زوجته في لحظة صعبة متعبة جداً عليها. يبدأ من تلك النقطة المواجهة بين التطرف والوسطية، وذلك بمواجهة انتشار التطرف، ويزرعه الكاتب في الحاضرات للولادة، ولكي تكسر حدة الحزن التي طغت على المكان والحاضرين، تقول: "إنها إرادة الله ولا دخل لأحد فيها، ثم، وما بها البنت؟"<sup>(١٤٠)</sup>، يستمر التطرف في اعتراض الزوجة على كلام القابلة، بل وسبها، لأنها أخبرتها بأنها لن تنجب مرة أخرى، وأن هذا جاء بخبرتها الطويلة في عملها، لكن الزوجة لا تقبل بذلك، وتثور ثورة العاصفة الهوجاء، ولكن لكل عاصفة نهاية وهدوء، وعندما سكنت اعتذرت عن تطرفها، وواجهتها القابلة بوساطة صريحة معلنة تخفف عن الحدة التي أصابتها، "ومهما يكن من أمر، فلا تقتطي، لأن رحمة الله كبيرة. وكل ما أرجوه أن يكذب الخالق ظني"<sup>(١٤١)</sup>، واختار الكاتب اسم وحيدة للبنت المولودة، ويشتمل على دلالة ضمنية يعبر عنها، حيث لفظة وحيدة تدل على الوحدة والانفراد، والعيش بمعزل عن الناس، أو دون

<sup>(١٣٨)</sup> الداية: المرأة التي تقوم بالتوليد، كما تقوم أيضاً بختان الإناث. انظر: محمد الجوهري: موسوعة التراث الشعبي العربي، مج ٢ / العادات والتقاليد الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط ٢، ٢٠١٢م، ص ١٩٣.

<sup>(١٣٩)</sup> الصادق الفريوي: الولد المفقود، المصدر السابق، ص ٩.

<sup>(١٤٠)</sup> الصادق الفريوي: الولد المفقود، المصدر السابق، ص ١٠.

<sup>(١٤١)</sup> الصادق الفريوي: المصدر السابق، ص ١١ - ١٢.

صحبة من حولها، واختيار الكاتب مقصود، ليعبر عن حالة المولودة حسياً ومعنوياً. ويعرض الكاتب نقطة أخرى من نقاط السعي لإنجاب مولود ذكر، وهو عزم الزوج على الزواج الثاني ليحصل على الذكر، وهذا تطرف كما تم طرحه من قبل، ويعرض الكاتب تطرفاً مختلفاً، وهو تطرف على حساب النفس، الزوجة تظهر خلاف ما في باطنها وقلبها، فهي حزينة جداً لكلام زوجها، وأنه سيتزوج، لكن تظهر الرضا والسعادة له وللجميع، "قامت أم وحيدة بدور بطولي لتوهم الناس بانسراحها وسرورها بهذا الحدث السعيد"<sup>(١٤٢)</sup>، ينسب الكاتب هذا الفعل للتطرف، على الرغم من أنه صادر من الشخص نفسه لنفسه لكنه ظلم نفسه، وجعلها تعيش في جو مليء بالتعاسة والحزن المضغفة، مضغفة لأنه يخفي ذلك الحزن، ويظهر خلافه للناس، وهذا أمر مرهق للنفس والبدن، بل مهلك لها، ويملاؤها حقداً وضغينة على الآخرين.

يستمر التطرف حتى يصل إلى ذروته في فعل الزوجة الأولى بمساعدة القابلة لها مقابل المال، وتدبير مكيدة تفوق مكائد الشيطان نفسه، والمكية هي تبديل الطفل الذكر بجرو كلب، ووضع الطفل في صندوق وإلقائه في النهر، ويتخلصوا من الطفل، ومن مكانة أمه عند الزوج. "اغتنمت القابلة وأم وحيدة التي كانت تتظاهر بمساعدتها خلو الغرفة من الخدم، ووضعنا الصبي في ذلك الصندوق وأحكامنا غلقه. خرجت أم وحيدة تحمل خرقاً لفتها، لتوهم زوجها بأنها سترمي شيئاً ما في الزبالة"<sup>(١٤٣)</sup>، فاق تطرف أم نبيلة والقابلة كل مواقف التطرف السابقة، رغم تساويها في التطرف فيزيد تطرفهم في هذا الموقف لتعدد جرائمه، فهو قتل لطفل، وحرمان لأم من وليدها، وحرمان لأب من وليده، وكذب وتدليس وتغيير للحقيقة. وأثر الخبر الصاعق على الأم والزوج، وكانت له نتائج الفادحة، والتي أدت إلى تطرف آخر من قبل الزوج تجاه الزوجة الثانية، والذي جاء نتيجة لتحريض الزوجة الأولى، جعل زوجته الثانية تقيم في غرفة خارج القصر، وتقوم بأعمال الالعمال والمساعدين، وترعى الإبل، وتقوم على خدمتهم؛ عقاباً لها على إنجابها جرو كلاب، "إن من تلد جرو كلاب ليس لها مكان بيننا، ولا يحق لها أن تعيش في قصر، لأن ما يليق بها هو أن ترعى الإبل، عليك منذ يوم غدٍ أن تشري في عمك الجديد"<sup>(١٤٤)</sup>، هذا ظلم وتطرف بين، لكن الزوجة الثانية المغلوبة على أمرها، لم تقابل التطرف بتطرف مثله، بل قابلته بوسطية هادئة حكيمة، حيث لجأت إلى ربها وفوضت أمرها له، لعله يكشف عن كriebها، ويظهر لها الحقيقة التي تحس بها في صدرها، "رب، لا ملجأ لي سواك، فأعني في محنتي، ماذا جنيت حتى ألقى هذا المصير. هل صحيح

<sup>(١٤٢)</sup> المصدر السابق، ص ١٣.

<sup>(١٤٣)</sup> نفسه، ص ١٦-١٧.

<sup>(١٤٤)</sup> الصادق الفريوي: الولد المفقود، المصدر السابق، ص ١٩.

ولدت جرو كلاب؟ لا، لا أظن ذلك، أ يكون في الأمر سرٌّ؟؟ لكن من أين لي أن أعرف الحقيقة ما دمت لا أملك برهاناً أو حجةً، ومن تراه يصدقني؟<sup>(١٤٥)</sup>، فعل المرأة وإذعانها لقرار زوجها يحتاج إلى مجاهدة نفس كبيرة، خصوصاً وأنها الأم المكلومة في ولدها، التي حرمت منه، لكن يجسد الكاتب تلك الصورة لتمثل الوسطية في مواجهة التطرف، وأنه مهما تعددت صنوفه في المجتمع تجد من يواجهه مستنداً على قلبه القوي، واعتماده على قوة ما بداخله من معتقات ومبادئ أساسية لا يحيد عنها عندما تهب عليه العواصف العاتية.

وعلى الجانب الموازي يتكئ الكاتب على مخزونه الثقافي الديني في وضع الطفل الوليد في صندوق، وإحكام غلقه جيداً، ثم رميه في النهر، ويعثر عليه رجل صياد، ويأخذه إلى زوجته في البيت، والصياد وزوجته لا ينجبان، فيتخذانه طفلاً لهما ويربانه، تشبه القصة قصة النبي موسى (عليه السلام)<sup>(١٤٦)</sup>، وضعت أمه استجابة لأمر الله وما رآته في الرؤيا في صندوق وألقته في اليم، وأخذته آسيا زوجة فرعون، المرأة التي لا تتجب، وتربيته معهم في القصر. هذا اتكاء صريح وظاهر من الكاتب، وتأثير المخزون الديني القصصي لقصة النبي موسى (عليه السلام).

تسير حياة الصياد وزوجته والطفل سعيدة، ويعلمانه، ويتوقف في مدرسته، لكن الأمن لا يدوم كما الوسطية تجد متطرفاً يُعكر صفوها، ويصيره مشوّباً بفعله وكلامه، يأتي غلام زميل كاره لعبد الله في الكتاب، ويقول له لا يحق لك الفرح بتفوقك، لأنك "غريب عنا، فحنن لا نعرف لك أمًا ولا أبًا؟"<sup>(١٤٧)</sup>، هذا الصنف لمتطرف من الناس، الذي يكره تفوق ونجاح الآخرين، وإذا وجده نجح يذكر له ما يعكر صفو ظفره، ويتحقق الغرض ويحزن الطفل وينشغل بالتفكير في هذا الموضوع، ويذهب للصياد وزوجته، ويسألهم ويتحاوران معه بطريقة سلسلة لينة، ليحيدوا بالغلام عن هذا التفكير، فقد شعروا بأنهما سيفقدانه، بعد أن ملأ عليهم البيت فرحاً وسروراً. وينتهي الحوار بينهم بأنه سيخرج ليبحث عن أسرته الحقيقية، لعل الله يعثره فيهم.

يعرض الكاتب موقفًا وسطيًا، ومن خلاله يريد أن يبث رسالة ضمنية ليست ظاهرة، تتضح من قراءة المشهد، عندما يضيف عامل الفلاح الولد عبد الله ويكرمه، ويعطيه حصانًا ليسافر به، ويخفف عنه مشاق الطريق، "فهل لي أن أساعدك بهذا الحصان المسرج ليريحك من أتعاب السفر"<sup>(١٤٨)</sup>، يثير قضية أن الكرم والرفق واللين

<sup>(١٤٥)</sup> الصادق الفريوي: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

<sup>(١٤٦)</sup> أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن

التركي، دار عالم الكتب – الرياض، ٢٠٠٣م، ج ٢/ ص ٣٣-٤٠.

<sup>(١٤٧)</sup> الصادق الفريوي: الولد المفقود، المصدر السابق، ص ٢١.

<sup>(١٤٨)</sup> الصادق الفريوي: المصدر السابق، ص ٣٤.

في المعاملة وحب مساعدة الآخرين موجود عند مختلف الناس، ولا يتعلق بمكانة أو بطبقة اجتماعية.

وكذلك يكمل على الطريقة نفسها، ويثير قضية أخرى، وهي قضية الأمانة وردّها، وكيف قابل الولد عبد الله مساعدة هذا العامل، بعد فترة ليست بالطويلة عاد الولد بالحصان وردّه إلى صاحبه محافظاً على الأمانة، "فقصد عبد الله بيت العامل الذي استضافه في زيارته الأولى. فأثنى عليه لمساعدته وردّ إليه الحصان"<sup>(١٤٩)</sup> وتلك رسالة ضمنية من الكاتب بيئتها من خلال تناوله للوسطية، فالوسطية هي اتباع الصحيح في المجتمع سواء دينياً أو أخلاقياً.

ولا ينفك الكاتب في الاتكاء على مخزونه الثقافي، وتأثره بعادات القرية، وذكره ذلك صراحة في ثنايا القصة، عندما حلّ الصياد وزوجته وعبد الله ضيوفاً على الفلاح أدخلوا زوجة الصياد إلى المكان الخاص بالنساء، وتارة أخرى يستدعي الراعية لتتضم لمجلس النسوة، "وأوصاهم خيراً بزوجة الصياد التي دخلت القصر... التمس الصياد من مضيّفه أن يدعو راعية الإبل لتتضم إلى مجلس النسوة لتصيب بعض الأكل"<sup>(١٥٠)</sup>، هذا من تأثير المخزون اللاواعي لدى الكاتب، ونتيجة لنشأته القروية المؤثرة فيه تأثيراً كبيراً.

ويلجأ الكاتب إلى ذكر أسماء شخصيات تراثية في عمله، وتلك ليست المرة الأولى، فهو دائم الذكر لها، حيث ذكرها في قصة صراع<sup>(١٥١)</sup>، ويرمي الكاتب من وراء ذكر اسم الجازية الهلالية ربطها بشخصية نبيلة أم الولد المفقود، تلك المرأة التي لم تواجه التطرف بتطرف، بل واجهته بوسطية، ولجأت إلى ربها، وانتظرت منه الفرج، وفي ذلك حكمة منها، فلو ثارت عليهم في وقت ولادتها لما بقيت في البيت، ولما قابلت ابنها الذي كان يبحث عنها، وشيء آخر يربطهم بالهلالية وهو السفر، انتقال الهلالية وسفرهم من مكان لآخر، وكذلك الولد وسفره للبحث عن أصله وأسرته الحقيقية، تلك كانت الشخصية الأولى التي ربطها بالتراث، الشخصية الأخرى شخصية أبي زيد الهلالي، صاحب البطولات التي دارت عنها أكثر قصص الهلالية، وتشابه قصة بحث الولد مع قصة أبي زيد الهلالي.

تأتي المواجهة المنتظرة بين الوسطية والتطرف، تلك المواجهة التي يجب تغليب طرف على آخر، يجتمع الفلاح وأسرته والصياد وأسرته، بالإضافة إلى القابلة في غرفة واحدة، ويطلبون من الصياد بمثابة كبر سنه أن يحكي لهم قصصاً تراثية، لكن يطوع الأحداث لما يخدم الهدف الذي يرنو إليه، ويبدأ في سرد قصة عنوانها الولد المفقود، ويظهر مع سرده للقصة الصندوق الخشبي الذي وضع فيه الطفل وتم إلقاءه في

<sup>(١٤٩)</sup> المصدر السابق، ص ٣٥.

<sup>(١٥٠)</sup> الصادق الفريوي: الولد المفقود، المصدر السابق، ص ٣٦-٣٧.

<sup>(١٥١)</sup> الصادق الفريوي: صراع، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣ م، ص ١١-١٢.

النهر، ويتوقف الصياد، ويقول يوجد الذي هو أعلم مني بالقصة ومجرياتها، فيتعجب الجميع، وتحتدم المواجهة، "سأدلكم على من يواصل القصة، لا تخافوا، ثم التفتت إلى أم وحيدة وقال لها: تفضلي، ثم نظر إلى القابلة وقال لها: تقدمي، ورمي أمامهما الصندوق وقال لهما: ألا يذكركما بشيء؟ ألم تعرفاه؟"<sup>(١٥٢)</sup>، هذه المواجهة القاسية على التطرف، تكاد تنهيه تمامًا، ويتم الاعتراف من قبل القابلة بكل تفاصيل الجريمة التي قامت بها، وتطلب أم وحيدة العفو على ما فعلته من جرم كبير، وتغلب الوسطية وتسترد مكانتها التي تم الاستيلاء عليها من قبل المتطرفين، ويتجلى حسن وجمال الوسطية في موقف نبيلة أم الولد المفقود، بعد أن استوت الأمور وأصبحت مقاليدها في يدها، وتستطيع أن تنتقم لما حدث لها في السنوات العجاف التي مرت عليها، لكنها تفعل خلاف ذلك، وتغلب جانب الوسطية عندها، والذي عرف عن شخصيتها، "إن ما حدث فات، كفانا مأساة، وإن رحمة الله كبيرة، لقد اجتمع شملنا بعد فراق ابني عبد الله، فحمدًا وشكرًا للعناية الإلهية، ولنعمل جميعًا على رعاية الأبناء، ولنستأنف حياة جديدة كأن شيئًا لم يقع"<sup>(١٥٣)</sup>، لا يستطيع أن يفعل ذلك إلا قلبًا امتلأ حبًا لمن حوله، وابتعد عن التطرف ومسالكه. وتظهر خاتمة القصة صور الوسطية وأثرها على حالة الجميع، فالفلاح يشكر الصياد على حسن صنيعه وتربيته لعبد الله، وأيضًا الطفل عبد الله لم ينس المعروف الذي فعله معه الصياد وزوجته، وانتهى المطاف بهم في المكوث مع الفلاح وأسرته، ليعيشوا معًا في حبٍّ ووثام.

اتضح من القراءة الثقافية للقصة تناول العديد من القضايا الظاهرة والضمنية، والتي من خلالها برزت ثنائية الوسطية والتطرف، وإلى جانب القضايا المتناولة يوجد العديد من القيم التربوية المقصود تقديمها للأطفال، لتعريفهم بما هو إيجابي، وبما هو سلبي في المجتمع الذي نحيا فيه، ومن القيم التربوية المتناولة ما يلي:

- عدم التدخل في شؤون الآخرين، وتجنب السؤال عن خصوصياتهم، مثل: متى تنزوج، ومتى تنجب...
- البنات مثل الولد، وإنجاب الذكور أو الإناث ليس باختيار الإنسان أو ليس سببه المرأة، وعدم التفرقة بين الذكور والإناث في المكانة أو القيمة.
- الالتزام بالمبادئ، وعدم تغييرها، والابتعاد عن جني المال بالطرق غير المشروعة.
- عدم إيذاء الآخرين في أنفسهم أو أولادهم.
- اتباع الطرق الصحيحة والسليمة في طلب الحاجات، كما فعلت نبيلة في لجوئها إلى الله.
- عدم التتمر والحقد على الأقران المتفوقين، وتجنب ذكر شيئًا سيئًا عنهم ولو كان حقيقيًا.

<sup>(١٥٢)</sup> الصادق الفيروي: الولد المفقود، مصدر سابق، ص ٤١.

<sup>(١٥٣)</sup> الصادق الفيروي: الولد المفقود، المصدر السابق، ص ٤٦.



- حفظ الأمانة، ورد الجميل لصاحبه، وعدم تضييعه.
- كراهية أن يكون الإنسان عاطلاً عن العمل، وأن يكون مُعيلاً لنفسه لا عالة على غيره.

#### النتائج:

- حاول البحث رصد الهوية المصرية الدينية في قصص الأطفال من خلال عدد من النماذج القصصية المختارة الموجهة للأطفال، مستندة في دراسة هذه القصص وتحليلها إلى القراءة الثقافية، وقد توصل البحث إلى ما يلي:
- أهمية بثّ الهوية داخل قصص الأطفال؛ لما للقصص من دور فعّال في تشكيل مخيلة الطفل، ومن ثمّ العمل على الإحساس والعيش في بيئة أطفالها لديهم معرفة ووعي بأصلهم وانتمائهم ومعرفة الصالح والفساد من الأمور الدخيلة والمستحدثة من قبل المتطرفين، وينتج عن ذلك خلق أجيال لديها وعي بهويتها، ولديها القدرة على الدفاع عنها أمام المغريات المستحدثة، والتي تُفدّ من كل حذب وصوب.
- للقصة كنوع أدبي من ضمن أنواع أدبية أخرى تأثير كبير بين كُتّاب أدب الأطفال الموجه؛ لسهولة رواجها، وإقبال الأطفال والآباء عليها، علاوة على أنها لم يقتصر تناولها وعرضها على مكان وزمان محددين، كالمسرحية التي تُعرض في مكان محدد على خشبة المسرح، وفي زمان محدد يجتمع فيه الممثلون مع المشاهدين، أو قصيدة شعرية تحتاج إلى فئة عمرية محددة ومفردات بسيطة جداً ، أما القصة صالحة للقراءة في كل مكان وزمان، سواء من قبل الأطفال أنفسهم أو من خلال راوي يرويها، بالإضافة إلى أنها صالحة لجميع الفئات العمرية بحسب المفردات المنتقاة ولغة الحوار المستخدمة فيها.
- تتفاوت القصص في بثّ أنماط الهوية الدينية؛ يوجد بثّ مباشر لما هو ديني من آيات قرآنية وأحاديث شريفة، كما جاء في قصص محمد عبد الحافظ ناصف المتناولة في البحث، وجاء بثّها بما يتناسب مع القيم المتناولة داخل كل قصة، ويوجد بثّ غير مباشر من خلال الحث على القيم السلوكية الصحيحة، والتنفير من السلوكيات الخاطئة، وظهر في القصص المنشورة في مجلة قطر الندى. وعلى الرغم من هذا التقسيم المباشر وغير المباشر فكلاهما يدعو إلى دعم الوسطية والابتعاد عن التطرف، بالإضافة إلى إبراز القيم المستمدة من الدين بصورة القدسية، وأنه لا يجوز المساس بها أو الحياد عنها.
- جاءت الهوية الدينية في القصص الموجهة إلى الأطفال من خلال نماذج مدروسة تحض على الأخلاق الحميدة، والبعد عن مفاسد الأمور، إلى جانب الحث على التعاون ونشر المحبة والتسامح بين جميع أطراف المجتمع.



## قائمة المصادر والمراجع

### المصادر:

١. أحمد زحام: قصة طلب صداقة، رسوم/ رشا منير، تلوين/ تامر شاهين، مجلة قطر الندى، ع ٦٦٠، نوفمبر ٢٠٢٠م، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- قصة رمضان كريم، رسوم/ رشا منير، تلوين/ تامر شاهين، مجلة قطر الندى، ع ٦٤٧/ مايو ٢٠٢٠م.
- رحلة فضائية، رسوم/ رشا منير، تلوين/ تامر شاهين، مجلة قطر الندى، ع ٦٦٨/ مارس ٢٠٢١م.
٢. حسام فاروق: قصة آثارنا الجميلة من كتاب مغامرات فلفلة، رسوم رغبة أسامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢١م، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- قصة العقد الفريد من كتاب مغامرات فلفلة، رسوم رغبة أسامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢١م، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- قصة رحلة سعيدة من كتاب مغامرات فلفلة، رسوم رغبة أسامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢١م، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
٣. رضا يوسف: قصة كابوس كورونا، رسوم/ زكريا عبد العال، مجلة قطر الندى، ع ٦٤٨، مايو ٢٠٢٠م، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
٤. الصادق الفريوي: الولد المفقود، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣.
- صراع، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- طارق مراد: العيد إحساس، رسوم/ إبراهيم عبد الحافظ عمرو، مجلة قطر الندى، ع ٦٤٨ / ١٥ مايو ٢٠٢٠.
٥. عبد الجواد الحمزاوي: قصة عيد سعيد، رسوم/ سامح يحيى، مجلة قطر الندى، ع ٦٤٨ / مايو ٢٠٢٠، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
٦. عبد المجيد الحمزاوي: من يأخذ الشيكولاتة؟ رسوم جورج جمال، مجلة قطر الندى، ع ٦٤٧/ مايو ٢٠٢٠م.
٧. عبد الهادي شعلان: قصة الرجل العجيب، رسوم/ إبراهيم عبد الحافظ عمرو، مجلة قطر الندى ع ٦٤٣ / مارس ٢٠٢٠م.
٨. محمد عبد الحافظ ناصف: السّورة الغاضبة، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٩م.
- قصة السباق، ضمن المجموعة القصصية حارة الموناليزا، مجلة قطر الندى، ع ٥٦، فبراير ٢٠٠٢م، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- حكايات فردوس وسماحة، رسوم/ عبد الرحمن بكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢١م.
- قصة السباق، ضمن المجموعة القصصية حارة الموناليزا، مجلة قطر الندى، ع ٥٦، فبراير ٢٠٠٢م، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

## الهوية المصرية الدينية وتجلياتها في قصص الأطفال – قراءة ثقافية...، الصادق الدردير

٩. محمود درويش: أخطار الغابة، رسوم: آمال خطاب، مجلة قطر الندى، ع ٦٤٣ / مارس ٢٠٢٠م.
- المستعمرة المفقودة، رسوم/ آمال خطاب، مجلة قطر الندى، ع ٦٤٧ / مايو ٢٠٢٠م.
- جزيرة المجهول، رسوم/ آمال خطاب، مجلة قطر الندى، ع ٦٤٨ / مايو ٢٠٢٠م.
١٠. هجرة الصاوي، مغامرات لولو، رسوم/ رشا منير، تلوين/ تامر شاهين، مجلة قطر الندى، ع ٦٤٣ / مارس ٢٠٢٠م.

### المراجع:

١. أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوك وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٢. أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين المقرئ: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – لبنان، بيروت ١٩٩٧م.
٣. أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (انجليزي – فرنسي – عربي)، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٨م.
٤. أدونيس: الشعرية العربية، ط٦، دار الآداب، بيروت، ٢٠١١م.
٥. أمينة الجندي: التطرف بين الشباب في الجامعات المصرية، مجلة المنار، ع ١٥١، القاهرة، ١٩٨٩م.
٦. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقى، القاهرة، ط٤ / ٢٠٠١م.
٧. سليمان بن صالح الخراشي: المنتقى من أمثال العرب وقصصهم، دار القاسم للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٧م.
٨. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٥٥م.
٩. عاطف أحمد فؤاد: الحرية والفكر السياسي المصري، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٨٨م.
١٠. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، ج٣، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
١١. أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢ / ١٩٦٤م.
١٢. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: الأدب المفرد، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت – لبنان، ١٩٨٩م، ص ٥٤.

- صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة - بيروت، لبنان، ٢٠٠١م.
- ١٣. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب - الرياض، ٢٠٠٣م.
- ١٤. أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان.
- ١٥. محمد إبراهيم بكر: موسوعة تاريخ مصر عبر العصور - تاريخ مصر القديمة، إشراف دكتور عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.
- ١٦. محمد الجوهري: موسوعة التراث الشعبي العربي، مج ٢ / العادات والتقاليد الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط٢، ٢٠١٢م.
- ١٧. مرسيا إلباد: المقدس والمدنس، ت/ عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة، دمشق، ١٩٨٨م.
- ١٨. ابن منظور الإفريقي: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- ١٩. ميرال طحاوي: محرّات قبلية - المقدس وتخيالاته في المجتمع الرعوي روائياً، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٨م.

